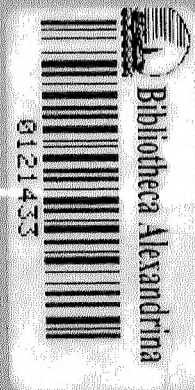


مركز وثائق وأبحاث عصر المعاصر

عصر النهضة

عصر حكيان

د. أحمد عبد الرحمن مصطفى



96







مركز وثائق وأرشفة مصر المعاصرة

إشراف: د. يونان لبيب رزق  
مكتبة التوثيق: خلف عبد العظيم الميرحي

الاخراج الفنى : مراد نسيم

# عَصْرُ حَكَّيَان

١٠ د. د. أحمد عبد الرحيم و طيفي



الموسسة القومية للمكتبات والارشيف  
١٩٩٠



## تقديم

هذه موضوعات أربعة كتبها الأستاذ الدكتور  
أحمد عبد الرحيم مصطفى في مناسبات مختلفة .

وما تقوم به « مصر النهضة » من جمع هذه الموضوعات  
ونشرها في أحد أعدادها له أسبابه .

فالأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى أستاذ  
جيل من المؤرخين وكل ما يكتبه ينبغي الحفاظ عليه وتوفيره  
لجموع الباحثين ، فهذا حق كما أنه بنفس القدر حق أبناء  
الأجيال الجديدة من الراغبين في متابعة ما كتبه .

ثم ان الموضوعات الأربعة التي تنشرها مصر النهضة في  
هذا العدد تجمع بينها وحدة موضوعية اذ انها تعالج في

غالبها تلك الفترة الغامضة من تاريخ مصر بين نهاية عصر محمد علي وبدايات عصر اسماعيل •

أضف الى ذلك أننا كنا حريصين في مصر النهضة على اقتناء ونشر عينات من تلك المجموعة الثمينة من أوراق حككيان التي تفضل الدكتور أحمد عبد الرحيم فمناها لهذا العدد لنشرها كملحق له لتكون عوناً للباحثين في تلك الفترة •

ولأهمية هذه الأوراق من جانب ، ولأن الموضوعات التي تضمنها هذا العدد يجمع بينها أنها وقعت كلها في عصر حككيان • فقد رأينا أن نطلق على مجموعة هذه البحوث « عصر حككيان » •

والأمل معقود على أن تكون هذه المجموعة من الموضوعات مصدر فائدة للباحثين في تاريخ مصر الحديث •

وعلى الله قصد السبيل

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر



## الموضوع الأول

---

جوانب من علاقات مصر الخارجية

في عهد عباس الأول



بعد هزيمة القوات العثمانية على يد قوات محمد علي في موقعة نزيب في يونية ١٨٣٩ (١) أصبحت الامبراطورية العثمانية في مهب الرياح • ورغبة من ساسة الدولة في كسب مساندة الدول العظمى الى جانبها فافهم أعلنوا برنامج الاصلاحات الذي تضمنه خط شريف جلقانة وعرف في مجموعة باسم التنظيمات الخيرية لأنها استهدفت (تنظيم) شؤون الدولة وفق أسس جديدة في جميع المجالات الادارية والمالية والقضائية والتعليمية • وقد أكدت التنظيمات على نقاط ثلاث هي :

١ - توفير الضمانات لأمن جميع رعايا الدولة على حياتهم وشرفهم وأموالهم مما يستدعي علانية المحاكمات ومطابقتها للوائح والغاء اجراءات مصادرة الأملاك •

٢ - ايجاد نظام ثابت للضرائب يحل محل الالتزام •

---

(١) استقيت معظم المادة الواردة في هذا البحث من وثائق وزارة الخارجية البريطانية •

٣ - توفير نظام ثابت للمجندية بحيث لا تقل مدى الحياة بل تحدد مدتها بفترة تتراوح بين أربع وخمس سنوات .

وبالإضافة الى ذلك فقد أكد الخط الشريف للمرة الأولى وبصفة رسمية المساواة بين جميع رعايا السلطان أمام القانون .

وبعد صدور خط شريف جليخانه وقفت بريطانيا الى جانب الدولة العثمانية رغبة منها في تدمير الامبراطورية المصرية وما تضمنته من أخطار على المواصلات البريطانية صوب الهند . لهذا سعت الى تشكيل تآلب دولي أمكنه إلحاق الهزيمة بمحمد على وارغامه على الانسحاب من كل أملاكه باستثناء مصر والسودان ، ثم تحدد وضع مصر الدولي بمقتضى معاهدة لندن الموقعة في أول يونيه ١٨٤٠ والخط الشريف الموجه الى محمد على والصادر في ١٣ فبراير ١٨٤١ والفرمان الصادر في أول يونيه ١٨٤١ . وقد حددت هذه الاتفاقيات والمراسيم وضع مصر القانوني الذي ظل ساريا الى أن تنازلت تركيا عن سيادتها على مصر بمقتضى معاهدة لوزان الموقعة في عام ١٩٢٣ .

ولقد نص الفerman الصادر في أول يونيه ١٨٤١ على حق محمد على وأبنائه في حكم مصر ورأيسا وتمتعهم بسلطات تفوق سلطات الولاة العثمانيين الآخرين ، كما نص على كون والى مصر من رعايا السلطان وأفضاله وعلى أن جيش مصر جزء

لا يتجزأ من الجيش العثماني وحدد عدد قواته بما لا يزيد على ١٨٠٠٠ مقاتل في أوقات السلم وعلى أن يرسل الوالى سنويا ارسالية مالية الى استانبول وأن تطبق القوانين والمعاهدات العثمانية على مصر باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الامبراطورية العثمانية وعلى أن يقلد كل والى منصبه وخلعه شخصيا في العاصمة العثمانية وأن تسك نقود مصر وتجبى ضرائبها باسم السلطان . على أن استقلال مصر الذاتى رغم كل ذلك كان كاملا بحيث مارس الولاة سلطة تامة على المصريين فى شئون الادارة والضرائب والدفاع والتشريع . وعلى أى حال فان تسوية عام ١٨٤٠ - ١٨٤١ التى حددت وضع مصر الدولى بهذا الشكل قد توصلت الى حل وسط ارضى رغبات جميع الأطراف . فالباب العالى لم يعترض على حق الوراثة طالما بقيت مصر فى نطاق الامبراطورية العثمانية وفرضت حدود على سلطة واليها ، أما الدول العظمى التى ضمنت سريان التسوية فانها حافظت على تمامية املاك السلطان دون أن توصل الباب أمام التفلغل الاقتصادى الأوروبى ، كما أصبحت بمثابة حكم بين مصر والدولة العثمانية وبالتالي اكتسبت حق التدخل فى شئون كلا الطرفين ولو أنها لم تحل دون تطلع كل الأطراف الى اكتساب مزيد من المزايا : فحق الحكم الوراثة كان بشجع ولاة مصر على التطلع الى الاستقلال التام فى الوقت الذى سعى فيه الباب

العالى الى تقليص الامتيازات التى حصلت عليها مصر متى  
ما سنحت الفرصة •

وبعد هزيمة مصر فى أوائل الأربعينات انتقلت بالتدريج من  
حيز القوة الى حيز الضعف ومن الاستقلال الواقعى الى  
الخضوع لاستأبول •

وقد أحس محمد على بهذا التغيير فاهتم بمقاومة اتجاه كل  
من بريطانيا وفرنسا للتدخل فى شئون البلاد - ولما كان يخشى  
الاحتلال البريطانى باستمرار فقد تعاون مع الحكومة الفرنسية  
فى تحصين سواحل مصر الواقعة على البحر المتوسط ، كما  
زاد أعداد جيشه فوق الحد الذى سمحت به التسوية وذلك  
حتى لا تحاول الدولة العثمانية إلغاء الامتيازات التى حصلت  
عليها مصر • ولكى يؤكد استقلاله الذاتى فانه استولى على  
المواصلات البرية والنيلية التابعة للبريطانيين ووضعها تحت  
الادارة المصرية • وحين عرض عليه مشروع قناة السويس تردد  
فى تنفيذه خوفا من اغصاب بريطانيا وأصر على أن يكون المشروع  
مصريا بحيث يكون رأس المال محليا ويكون الفنيون فى خدمة  
الحكومة المصرية ، كما تحدث عن حياد مصر باعتباره شرطا  
أساسيا لتنفيذ المشروع الذى أشار الى كونه ذا أهمية بالنسبة  
الى أوروبا بوجه عام • وقد علمته تجاربه الطويلة أن لا جدوى  
من الاعتماد على فرنسا أو على أى دولة أوروبية عظمى أخرى

وأن مقاومة النفوذ العثماني أسهل كثيرا من مقاومة نفوذ  
انجلترا وفرنسا وبالتالي فقد عدل موقفه من استانبول وحسن  
علاقاته بالسلطات العثمانية باعتبار ذلك وسيلة لمقاومة الضغط  
العربي \*

وبعد ان اختلط عقل محمد علي تولى ابنه ابراهيم الحكم ،  
وحين توفي تولى عباس الأول حفيد محمد علي الذى اتصف  
بالقسوة والتعصب ، خاصة وأنه كان الوحيد من أبناء محمد علي  
وأحفاده الذى لم يتلق تعليما عصريا ولم يدرس أى لغة أوروبية  
أو يقوم بزيارة أوروبا ، وبالتالي فانه لم يتذوق الحضارة  
الغربية ولم يبد أى احترام لأساليب حياة الأوروبيين ، واتجه  
الى القضاء على كل مظاهر النفوذ الاوروبى وتوثيق علاقات مصر  
بالباب العالى خاصة وأنه كان يسقت تسامح جده مع  
الأوروبيين \* ونتيجة لكل ذلك فقد عادت العلاقات بين مصر  
والدولة العثمانية الى ما كانت عليه قبل موقعة نافارينو  
( ١٨٢٧ ) ، خاصة وأن عباس كان يرى أن مصر ليست سوى  
ولاية صغيرة تابعة للدولة العثمانية وليست امبراطورية كما كان  
الحال فى عهد جده وبالتالي فانه آمن بضرورة تمشى مؤسساتها  
ونظمها مع مساحتها ودخلها (٢) مما يفسر كثيرا من الاجراءات

---

(٢) وثائق وزارة الخارجية البريطانية - الملف ٨٤٢/٧٨ نسخة من رسالة  
دكتور بروبر طبيب عباس الى مستر ابرنون بتاريخ ٩ يناير ١٨٥١ .

التي اتخذها مثل بيع الأسطول وتسريح الجيش واغلاق  
المصانع وتقليص التعليم - الى غير ذلك •

وفي ديسمبر ١٨٤٨ بارح عباس مصر الى استانبول لكي  
يتسلم فرمان توليته ويحضر في الباب العالي الاحتفال الخاص  
بتنصيبه واليا • ورغم أن السلطان عبد المجيد استقبله استقبالا  
حسنا وأغدق عليه امارات التشريف فقد كان الباب العالي  
اميل الى تقليص صلاحيات الاستقلال التي تمتع بها محمد علي  
وأبدى استعدادا للاشراف المباشر على شئون مصر (٣) •  
وبعد عودة عباس الى مصر طلب منه أن يرسل ٢٠٠٠ رجل لكي  
يعملوا في الأسطول العثماني مما أدى الى توقف العمل في  
القناطر الخيرية والشك في استكمال المشروع (٤) •

وقد شجع الموقف الداخلي في مصر الباب العالي على  
التدخل في شئونها • فرغم أن عباس لم يرتكب في أوائل حكمه  
ظلما أو يصطنع القسوة فقد أثار كراهية الأوروبيين والعرب  
والأتراك خاصة وأن معظم الموظفين لم يكونوا يقبضون مرتباتهم

---

(٣) وثائق وزارة الخارجية البريطانية - الملف ٨٠٤/٧٨ - رقم ١٩ من  
مرى الى بالمرستون بتاريخ ١٩ فبراير ١٨٤٩ •

(٤) نفس الملف ، رقم ٢١ و ٢٤ من مرى الى بالمرستون بتاريخ ١٦  
و ١٩ ابريل ١٨٤٩ • في يونيو ١٨٥٠ زاد عباس السلطان في جزيرة رودس  
وحين عاد الى مصر كان شديد السرور لان عبد المجيد استقبله استقبالا  
حسا ( الملف ٨٤٠/٧٨ رقم ١٨ ) من جليبرت الى بالمرستون بتاريخ ١٧/٦/١٨٥٠ •



لأن الخزانة كانت خاوية - وقيل أن عباس استولى على الجزء الأكبر من ثروة محمد على الخاصة وعلى مجوهرات بناته مما دفع أعضاء الأسرة الحاكمة في مصر إلى الشكوى إلى استانبول \* وكان أنصار فرع إبراهيم يأملون في استبدال الحاكم لصالحهم وتعلقت آمالهم بالأمير أحمد أكبر أبناء هذا الفرع الذي كثر الحديث عن مطالبته السابقة بالحكم وعن الأموال الضخمة التي كان بإمكانه الاتفاق منها للحصول على رضى الدول العظمى \* وبالإضافة إلى مصاعب عباس هذه فإن فرنسا كانت تكن له العداء بعد أن ألغى كثيرا من المؤسسات التي كان يشرف عليها فرنسيون - وكانت فرنسا تأمل أن يؤدي تغيير الحاكم إلى خدمة المصالح الفرنسية خاصة وأن الأمير سعيد ابن محمد على والأمير أحمد بن إبراهيم اللذين كان مقيضا لهما أن يخلقا عباس طبقا لنظام وراثة العرش وفقا لقاعدة الأكبر فالأكبر الذي وقعت عليه التسوية قد تلقيا تعليمهما في فرنسا وكان من المتوقع أن ينحازا إلى جانبها (\*) \*

وقد انعكست الصعوبات التي واجهها عباس في النزاع الذي ثار بينه وبين الباب العالي (١٨٥٠ - ١٨٥٢) حول تطبيق التنظيمات في مصر ، خاصة وأن هذا النزاع والاتهامات

---

(\*) الملف ٨٠٤/٧٨ - المكافحة رقم ٢٨ من مرقى إلى بالمستون بتاريخ

٧ مايو ١٨٤٩ \*

التي وجهها الباب العالي الى الوالى قد تسببت في اضطراب البلاد • ونتيجة لخوف الوالى من نتائج ذلك فانه اتجه الى بريطانيا لكي تحميه خاصة وأنه كان قد أثار سخط فرنسا بعد أن طرد الفرنسيين من الادارة المصرية وأنه كان شديد الخشية لبريطانيا التي تسببت في هزيمة جده وكان لها أسطول قوى في البحر المتوسط • وقد راقب قنصل بريطانيا العام في مصر - مرى Murray — الموقف العام في البلاد حتى قبل أن يبدأ النزاع بين الوالى والباب العالي وحاول بالتدريج أن يواز النفوذ الفرنسى الذى كان قويا جدا في عهد محمد على ، وسعى الى انتهاز فرصة مبكرة لكي يبين له - بناء على اقتراح من لورد بالمرستون وزير الخارجية البريطانية - المزايا التي تعود على مصر من بناء سكة حديدية بين القاهرة والسويس (١) • وقد أبدى مرى انزعاجه بوجه خاص من الجولات التي كان يقوم سليمان باشا الفرنساوى في الدلتا حيث كان يتفقد التحصينات ويمزها وينظم ويدرب القوات التي جرى تجنيدها مؤخرا • وكان مرى يشك في أن فرنسا لازالت تراودها أطماع خاصة بالاستيلاء على مصر خاصة وأن هذه التحصينات كانت قد

(٦) نفس الملف رقم ٣ من مرى الى بالمرستون بتاريخ ١٦ يناير ١٨٤٩ •

راجع أيضا :

Helen Rivlin, The Railway Question in the Ottoman —Egyptian Crisis of 1850 — 52 (Middle East Journal, Autumn, 1961).

بدأ تنفيذها في عهدى محمد على وإبراهيم وأن الخطط الخاصة بها قد وضعت في باريس . وكان مرى يعتقد أن الهدف من إقامة هذه التحصينات هو تمكين الوالى اما من مقاومة السلطان أو من قطع المواصلات بين بريطانيا والهند (٧) . وقد أدى جزع مرى الى قطعه الاجازة التى كان يقضيها في إنجلترا وعودته الى مصر لكى يساند عباس في نزاعه مع الباب العالى خاصة وأنه كان يتمتع لديه بنفوذ أقوى مما كان يتمتع به ممثل أى دولة أوروبية أخرى أو مما يمكنه الحصول عليه لدى أى وال قد يخلفه (٨) .

يضاف الى هذا أن عباس بادر بعد نشوب النزاع بينه وبين الباب العالى الى ابداء حسن نيته ازاء إنجلترا والى استنجاهه بها ، ولهذا ذكر لوان القائم بأعمال القنصلية العامة أنه حين تولى الحكم وجد كل ادارات البلاد في أيدي الفرنسيين وأنه بعد أن قلص نفوذهم عاداه قناصل فرنسا العموميون وغيرهم من الفرنسيين مما استتبع التشنيع عليه والشكوى منه الى استانبول والتحريض على خلعه لكى يحل محله أحد أفراد الأسرة من الموالين لفرنسا . وأبدى عباس اعتماده على مرى لكى يحث الحكومة البريطانية على الدفاع عنه واصدار أوامرها الى سفيرها في استانبول - سير ستراتفورد كاتنج ، سير ستراتفورد

(٧) ٨٠٤/٧٨ - رسالة من مرى الى بالمرستون مؤرخة ١٨٤٩/١٢/١٦ .

(٨) ٨٤١/٧٨ من مرى الى بالمرستون بتاريخ ١٨٥٠/١٠/٩ .

دى ردكليف فيما بعد - لكى يسانده فى دوائر القصر السلطاني  
والباب العالى ، مشيرا الى اهتمامه بالمواصلات البريطانية  
صوب الهند وملححا الى أنه بذل كل ما فى وسعة لتحسين ادارة  
الترازيت ، واعتذر بالمصاعب المالية عن عدم مبادرته الى تنفيذ  
مشروع السكة الحديد بين الاسكندرية والسويس ووعده بتنفيذه  
متى ما ساعدته الظروف (٩) •

ورغم مساندة مرى لعباس فلم يكن بالمرستون - وزير  
خارجية بريطانيا - يعتقد أن التنظيمات ستضعف سلطة الوالى  
فى مصر (١٠) • ولكن مرى أبدى قلقه حين قرر الباب العالى  
أن يحرم عباس من حق اعدام المجرمين ، وذلك لاعتقاده بأن حق  
الاعدام سيساعد على استقرار الهدوء فى مصر وتأمين البريد  
والبضائع والركاب المتوجهين الى الهند عبر الصحراء خاصة  
وأن مصر لم تكن مجاورة لعاصمة الدولة بحيث يتسنى نقل  
المجرمين والمتظلمين اليها وارسال قوات السلطان بالسرعة  
اللازمة لمساعدة السلطات المدنية اذا ما دعت الضرورة ، وأن مثل  
ما طالب به عباس لم يطبق فى البوسنة وكردستان وأن محاولة

---

(٩) نفس الملف من والى الى مرى بتاريخ ١٨٥٠/٩/٢٠ .  
(١٠) ٨٤٢/٧٨ - ملحوظة من بالمرستون بتاريخ ١٨٥١/١/٢ على رسالتى  
والن المؤرختين ١٩ ديسمبر ١٨٥٩ •

تطبيقه في حلب ودمشق أدت الى سفك العسكرين لقدر من  
الدماء يفوق ما كان يمكن أن يسفكه انحاكم المحلى في عدة  
سنوات . أما عباس فقد طالب بحق الاعداء لا باعتباره من  
حقوق السيادة ولكن باعتباره سلطة تفويض كان يمارسها  
محمد علي و ابراهيم ويمارسه عباس ذاته حتى ذلك الوقت طبقا  
لقرمان الوراثة ، وذهب الى أن هذا الحق الذى لم يسيء هو  
استخدامه كميل بالمحافظة على أمن مصر ورعاها ، وأن محاولة  
حرمانه منه كان من نتيجة نفوذ أعدائه في استانبول الذين كان  
يهمهم أن تختل اوضاع مصر بالصورة التى تؤدي الى خلعه ،  
خاصة وأن حق القصاص لم يحرم منه حتى ذلك الوقت حاكم  
الحجاز الذى لم يكن باشا وراثيا ولا يمكن مقارنة حكومته  
بمصر لا من حيث الحيز أو السكان أو الأهمية (١١) .

وفي ١٨ يناير ١٨٥٢ استدعى عباس القناصل العموميين  
الذين كانوا يمثلون الدول الخمس الموقعة على تسوية  
١٨٤٠ - ١٨٤١ وشكا لهم من نوايا الباب العالي واستطرد  
قائلا ان جيوش الدول الأوروبية لا جيوش تركيا هي التى فرضت  
على محمد علي الوضع القائم وأنها لذلك ملزمة أديبا بأن  
تعمل على تطبيق التسوية . ولم يبد ممثلو فرنسا والنمسا وروسيا  
بروسيا تعاطفهم مع عباس الذى اعتبروه منحازا الى مصالح

---

(١١) ٩١٦/٧٨ (رقم ١) من مرى الى جرائفل بتاريخ ١٦/١/١٨٥٢ .

بريطانيا التجارية خاصة وقد بدأ في تنفيذ مشروع السكة الحديدية دون أن يستشيرهم \* وصرح له قنصل فرنسا العام بأنه لو استدعى السلك القنصلى قبل بضعة شهور وأبدى ثقته به وطلب النصيح والمساعدة من جانب القناصل لربما ادت مساعيهم لدى حكوماتهم الى التأثير في قرارات الباب العالى والى الحيلولة دون صدور القرار الأخير \* وكان قد سبق لمرى أن وجه نظر عباس مرارا الى ضرورة تقوية صلاته بالقناصل الآخرين وطلب نصيحهم فيما يتعلق بعلاقاته بالباب العالى ولكن الوالى رفض ذلك بحجة أن قنصلا أو قنصلين كانا على علاقة أوثق بأفراد أسرته الآخرين من علاقتهما به وبأن القناصل حين كانوا يزورونه كانوا يستثيرون غضبه بتناول موضوع واحد دون لباقة أو شفقة وهو عدم ميله الى مجتمعاتهم واتجاهه العام صوب بريطانيا ( ١٣ ) \*

ومهما كان الأمر فقد أحيطت الدول الخمس الموقعة على تسوية ١٨٤٠ - ١٨٤١ بموضوع التنظيمات في نفس الوقت الذى لقي فيه عباس مساندة عناصر معينة في مصر - فقد أرسلت الى مري عريضة وقعها بعض تجار الاسكندرية والقاهرة وبعض المواطنين المهمين الآخرين وتضمنت احتجاجهم على قرارات الباب العالى ورغبتهم في المحافظة على حقوق الوالى وعلى أمن

---

(١٢) نفس الملف - رقم ٢ من مري الى جرانفل بتاريخ ١٦/١/١٨٥٢ \*

البلاد (١٣) • ولكن يعزز معهم عباس مركزه فانه أطلع مري على رسالة أرسلها اليه لويس نابليون - رئيس الجمهورية الفرنسية - وأبدى فيها استعداداه لمساندة الوالى فى استانبول فيما لو أعاد وضع فرنسا الى ما كان عليه قبل تولى عباس الحكم حين كانت كل المناصب الهامة فى أيدي فرسبيين وحين كانت شئون مصر تدار من باريس (١٤) • وكتب مري الى كاتنج مدافعا عن عباس وذاهبا الى أن المشكلة كلها لا تعدو كونها سوء تفاهم تسبب فيه أعداء عباس فى استانبول وأن مصالح بريطانيا تكمن فى مساندته (١٥) •

وفى استانبول انضم سفيرا روسيا والنمسا الى كاتنج وقام الجميع بمساندة عباس ولو أن السفير الفرنسى كان على عكس ذلك (١٦) فحاول أن يظهر الوالى بمظهر المتمرذ على سيده مستهدفا بذلك خدمه خاصة وأن فرنسا كانت تستند فى مصر الى « الحزب الفرنسى » أى الى أمراء الأسرة الحاكمة المعروفين باسم « أبناء فرنسا » ومن التفتوا حولهم • وكان كل أوّلئك يشدون أزر الأتراك الساخطين الذين سبق أن فصلوا من خدمة

---

(١٣) نفس الملف - نسخة رقم ٤ بتاريخ ١/٢٤/١٨٥٢ •

(١٤) نفس الملف - رقم ٥ من مري الى جرانفل بتاريخ ١٩/٢٥/١٨٥٢ •

(١٥) نفس الملف - نسخة رقم ٥ من مري الى كاتنج بتاريخ ٢٧/١/١٨٥٢ •

(١٦) نفسه - رقم ٨ من مري الى جرانفل بتاريخ ٢/٤/١٨٥٢ •

الحكومة (١٧) • وقد أكد عباس لمري أن سعيد باشا ابن محمد على وولى العهد قد وقع خطابا التزم فيه ، في حالة توليه العرش ، بقبول التنظيمات في مجموعها وبالتنازل عن حق القصاص ووطاعة الباب العالي في كل الأمور • ورغم أن مري كان يشك في صحة هذا الخطاب الا أنه كان يرى أن نجاح المؤامرة الهادفة الى تولية سعيد سيؤدي الى انهيار مصر نتيجة لمطالب الباب العالي واسراف سعيد أو سيستتبع وقوعها تحت الحماية الفرنسية المباشرة مما يلحق بالمصالح البريطانية أقدح الأضرار (١٨) • وحين طلب عباس زيارة سفيتين بريطانيتين الى الاسكندرية نصح مري وزارة الخارجية البريطانية بتلبية طلبه حتى لا تتعرض البلاد لانقلاب سياسى خاصة وأن نوبار - سكرتير الوالى وترجمانه - بعث برسالة الى مري ذهب فيها الى أن رشيد باشا ( الصدر الأعظم ) قد وعد سفير فرنسا في استانبول بخلع عباس في حالة مساندة الحكومة الفرنسية له (١٩) ( أى الصدر الأعظم ) ( ٢٠ ) •

---

(١٧) ٩١٦/٨ - رقم ٢٥ ١٠٠٠ الى مالمسودى بتاريخ ١٨٥٢/٦/٢ •

(١٨) نفس الملف - مسودة نسخة رقم ٦ من مري الكائنم بتاريخه

• ١٨٥٢/٣/٢٧

(١٩) نفس الوثيقة السابقة •

(٢٠) نفس الملف - نسخة ( بالفرنسية ) من رسالة من نوبار الى مري

• تاريخه ١٨٥٢/٣/٢٦



وعلى أى حال فقد ساندت بريطانيا عباس في العواصم الأوروبية الكبرى في الوقت الذي أرسل فيه الباب العالي فؤاد أفندي الى مصر . وكان الهدف السرى من بعثة فؤاد هو اكتشاف القوة النسبية للأحزاب في مصر واذا ما وجد حجة لخلع عباس عليه أن يستوثق مما اذا كان من العملى فرض الطاعة لفرمان يتضمن تولية سعيد رئيس الحزب الفرنسى أو حزب الأسرة الحاكمة ، على أن يقوم في حالة ادراكه أن نجاح مثل هذه المحاولة أمر غير محتمل بالعودة الى استانبول بعد أن يؤكد لعباس دلائل الصداقة والتقدير (٢١) .

ووصل فؤاد الى مصر في أوائل ابريل ١٨٥٢ ، وحين أبدي المبعوث التركى قدرا من التعقل هدأت كل مخاوف عباس الذى أبدي أنه لن يعترض على حقوق سيده وأنه لا يفكر فى الاستقلال أو فى تعدى الباب العالي . ومما يدل على ذلك أنه قدم للخزانة التركية مبلغ ثلاثة مليون جنيه تركى لم يخصمها من الخراج ( الويركو ) المستحق على مصر بل انه دفع قيمة خراج عام ١٨٥٢ الى بنك سيناتى فيينا باعتبارها ضمانا للقرض الذى تعاقد عليه مع بنك الحكومة فى استانبول ، وكل ذلك مما ينمى رغبة الوالى فى اعلان استقلاله (٢٢) . والى كل ذلك وافق

---

(٢١) نفس الملف .. رقم ١٠ من مرمى المالىورى بتاريخ

٣٠ مارس ١٨٥٢ .

(٢٢) نفس الملف - رسالة من هورول الى المالىورى بتاريخ ١٨٥٢/٤/١٤

فؤاد على أن يمنح عباس حق الحياة والموت لمدة ست سنوات فيما اذا كان القتل لم يترك وريثا • وقد طالب عباس بشأني سنوات بدلا من ست ، وأمكن في النهاية التوصل الى حل وسط فسمح لعباس بسبع سنوات بعد أن وعد بأن يرسل لاستانبول كل حيثيات القصص (٣٣) • وبعد التوصل الى حل لمشكلة القصص اتقل فؤاد - الذي كلف بالتوسط بين أفراد الأسرة الحاكمة وبين عباس (٣٤) - الى مسألة ميراث محمد على • وكانت هذه المسألة حساسة وغامضة بحكم أن الأسرة كانت تطالب بكل مصر التي لم يبق أمامها سوى الافلاس (٣٥) •

على أن هذه المسألة الأخيرة كانت ثانوية اذا ما قورنت بمسألة التنظيمات التي اتفق حولها الرأي برغم ما اتضح من فحوى المراسلات من أن بعض الوزراء لم يتوخوا العناية في دراسة مسألتى التنظيمات والقصص من حيث تطبيقهما في مصر بوجه خاص وفي البلدان الشرقية بوجه عام - اذ ان سيف العدالة في هذه البلدان هو رمز السلطة وسرعة عقاب المجرمين هي الأسلوب العملي الوحيد لقمع الاضطرابات والقتل التي يثيرها البدو

---

(٢٣) نفس الملف - رقما ١٦ و ١٨ من مرى الى مالمسبورى بتاريخ

٤/١٧ و ١٨٥٢/٥/٣ •

(٢٤) نفس الملف - رقم ١٤ من مرى الى مالمسبورى بتاريخ ١٨٥٢/٤/١٦ •

(٢٥) نفس الملف - رقم ١٩ من مرى بتاريخ ١٨٥٢/٥/١٨ •

القانون في الصحارى المجاورة لوادى النيل • الا أن فؤاد تناول المسألة بمهارة حققت كل أهداف الباب العالى اذ ان منح عباس حق القصاص لمدة سبع سنوات كان اجراء نظريا - فاذا ما نقلت كل حيثيات الحكم الى استانبول كان يسهل جدا أثناء مراجعتها أن توجد ثغرات من شأنها أن تثير نزاعات خطيرة ، وكان خطأ عباس أنه خلال مفاوضاته مع فؤاد لم يقيم باستشارة مرى أو أى قنصل عام آخر (٢٦) •

ومهما كان الأمر فقد عادت العلاقات بين عباس والباب العالى الى ما كانت عليه قبل احتدام النزاع • وحين نشبت حرب القرم أبدى عباس استعدادده لاظهار ولائه للسلطان بوضع قوة برية وبحرية تحت تصرفه (٢٧) وجرت استعدادات فى الاسكندرية لتجهيز السفن والرجال وذلك رغم أن اهمال الأسطول منذ توليه الحكم قد جعل السفن غير صالحة للنزول الى البحر أو القتال • أما البحارة فقد أخذ عدد كبير منهم من المصانع والسكة الحديدية التى كان يجرى العمل فيها وأرسلوا الى الترسانة أو الى السفن • وجرى تشجيع الجنود على التطوع بنفس الأسلوب (٢٨) •

---

(٢٦) نفس الملف - رقم ٢٢ من مرى الى مالمسبورى بتاريخ ١٨٥٢/٥/٢٠ •

(٢٧) نفسه - وزارة الخارجية الى جون جرين بتاريخ ١٨٥٣/٧/٥ •

(٢٨) ١٨٥٢/٧/٨ - رقم ٢ من جون جرين الى ستراتفورد دى ردكليف

بتاريخ ١٨٥٢/٦/٢٣ •

وفي ٢٠ يولييه ١٨٥٣ بدأ تحرك السفن والقوات \* وأبدى  
المصريون المسلمون الذين أثارتهم الاستعدادات الحربية  
والأخبار التي أيقظت مشاعرهم الدينية بعض التعصب الذي كانت  
له آثار سيئة ، رغم أنهم لم يقوموا بما يتعدى الكلام ، ولو أن  
احتدام المشاعر هذا أدى الى مقتل أو جرح بعض الرعايا  
البريطانيين برغم الاجراءات المتشددة التي اتخذتها الحكومة  
المصرية لقمع النزعات التعصبية لدى السكان ولو أن هذا لم  
يهدىء روع المسيحيين المشاركة في حين أن احتدام مشاعر السكان  
الأوروبيين أدى الى توقع أعمال العدوان منهم لا من  
المسلمين (٢٩) \* وبالإضافة الى ذلك فقد جرى سحب الأقباط  
المجندين في الجيش النظامي من الخدمة العسكرية ووضعهم في  
أعمال السكة الحديدية (٣٠) \*

ورغم ذلك فإن الأحوال الداخلية للبلاد ككل كانت هادئة  
لصرامة الحكومة (٣١) خاصة وأن المنافسة بين إنجلترا وفرنسا  
قد غطى عليها انضمام الدولتين الغربيتين الى الدولة العثمانية  
ضد روسيا \* وبالإضافة الى ذلك فقد جرى نقل مرى الذي أدت  
علاقته الشخصية بعباس الى غضة الطرف عن مساوئ سياسته

---

(٢٩) نفس الملف - رقم ٥ من جرين الى كلارندون بتاريخ ١٣ أغسطس

١٨٥٣ \*

(٣٠) نفس الملف - من جرين الى أدنيجتون بتاريخ ٨ أغسطس ١٨٥٣ \*

(٣١) نفس الملف - رقم ١٤ من جرين الى كلارندون بتاريخ ١٩/٩/١٨٥٣ \*

الداخلية • وأرسلت تعليمات الى القنصل البريطاني العام الجديد - بروس - لكي يقيم علاقات طيبة مع زميله الفرنسي - ساباتييه - مع لفت نظره الى أن محاولات الايقاع بينهما يمكن تلافيها بالاتصال المباشر والعمل المشترك • وجرى توجيه نظر بروس الى ضرورة لفت نظر الباشا الى أن الحكومة البريطانية لا ترغب في الحصول على نفوذ سياسي أو في الأفراد بالنفوذ في مصر أو تعكير العلاقات القائمة بين السلطان والوالي ولو أنه يحق لها أن تتوقع تطبيق المعاهدات وتمتع رعاياها بالمعاملة المطلقة • كما وجه نظره الى ضرورة انتهاز كل الفرص ليؤكد للباشا أن إنجلترا لا ترغب الا في أن تتمتع مصر بالرخاء والتقدم وأن تظل بمثابة الطريق الى الهند وأنه طالما يحافظ على سلامة هذا الطريق يكون جديرا بصداقة الحكومة البريطانية ومساعدتها (٣٣) •

ويبدو أن الحكومة البريطانية أدركت نتيجة للعمل المشترك مع فرنسا ضد روسيا مدى ضرور المنافسة القديمة بين الدولتين وهي المنافسة التي أدت الى خلق حزينين في مصر يعتمد أحدهما على الموظفين الفرنسيين في الحكومة المصرية الذين كانوا يسعون الى اقتناع والي بأن كل اصلاح تتبناه إنجلترا لا يهدف الا الى

---

(٣٢) ١٠٣٤/٧٨ - رقم ١٦ - وزارة الخارجية الى بروس بشاذين

• ١٨٥٤/٣/٣١

التمهيد للاحتلال البريطاني • أما الحزب الآخر الذي كان يقوم على المؤيدين النفوذ البريطاني فلم يدخر أنصاره وسعا في تشويه أى خطوة يخطوها ممثل فرنسا للدفاع عن حقوق ومصالح الرعايا الفرنسيين • ونتيجة لهذا الوضع كان الوالى يشك في كل ما يقترح عليه بصدد ادخال الاصلاحات على ادارته الداخلية ويبالغ في الأهمية المضافة على ابداء الصداقة وحسن النية له مستغلا ذلك في الاساءة الى الأشخاص والسعى الى احياء نظام الاحتكار •

لكل ذلك اعتقد بروس أن حسن التفاهم والصراحة مع قنصل فرنسا العام من شأنهما أن يؤديا الى وضع حد للمؤامرات التي ألحقت الضرر بالاصلاحات • ولهذا لفت نظر ساباثيه الى ضرورة اتحاد انجلترا وفرنسا في اقناع عباس بالقضاء على كل أسباب الشكوى المترتبة على سوء ادارته واهماله والتخلي عن نظام الاحتكار الذي كان يعود اليه بالتدريج • وكان رد ساباثيه أنه يقر خطأ سابقه الذين كانوا يسعون الى اكتساب النفوذ مما أدى الى أسوأ النتائج وأنه يحبذ مشروع السكة الحديدية الذي زكاه لدى الوالى • ولكنه أشار الى الميزات الممنوحة لشركة بننسولار وأورينتال دون غيرها مما كان يشكل خرقا للمعاهدة المعقودة بين الباب العالي وفرنسا التي منحت بمقتضى هذه المعاهدة على وضع الدولة الأولى بالرعاية • وأقر

سabatيه أن مصالح أنجلرا تفوق مصالح فرنسا وأبدى استعداداه للقيام بعمل مشترك لحفز الاصلاح . ثم أكد بروس لسabatيه أن الحكومة البريطانية لا تسعى الى احتكار النفوذ في مصر بل كل ما يهمها هو تحسين المواصلات الى الهند عبر مصر واصلاح ادارة البلاد وأن من واجب فرنسا أن لا تغار أو تشك في ذلك وكان يحبذ تضامن الدولتين الغريتين الذي من شأنه أن يرغم الوالى على التخلي عن مشروعاته الاحتكارية وعلى اصلاح ادارة البلاد (٣٣) . وحين لمس عباس هذا التضامن عاد الى توثيق علاقته بالباب العالي مما أضعف نفوذ مثلى الدول الأوروبية الذى نتج عن سوء علاقته بالباب العالي مما جعل بروس يؤجل اثاره الشكاوى الى ما بعد انتهاء الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا (٣٤) .

وأرسل عباس ١٠٠٠ جندي الى تركيا وخطب ابنة السلطان عبد المجيد الى ابنه الهامى وطلب من الباب العالي أن ينعم عليه بلقب « العزيز » وراوده أمل في تعديل نظام وراثة العرش لصالح ابنه الهامى (٣٥) . على أن كل ذلك لم يتمخض عن شىء نتيجة لوفاة عباس المفاجئة في ١٣ يولية ١٨٥٤

---

(٣٣) ١٠٣٥/٧٨ - بروس الى كلارندون بتاريخ ١٦/٣/١٨٥٤ .

(٣٤) نفسه - نسخة رقم ١ من بروس الى ردكليف في ١٥/٣/١٨٥٤ .

(٣٥) نفسه - رقم ٣٩ من بروس الى كلارندون بتاريخ ١٣ اغسطس .

وهي الوفاة التي يرجح أنها كانت نتيجة أزمة عصيبة (٣٦) مرتبطة  
بقلقه بصدد تعديل نظام وراثة العرش واحتمال انهيار  
الامبراطورية العثمانية وطمعه في اتخاذ لقب الخلافة •

وقد سعى أنصار عباس الى تأخير تولي سعيد الحكم الى  
أن يمكنهم التآمر في عاصمة الدولة لضمان الحكم لالهامي •  
الا أن قنصلي بريطانيا وفرنسا تدخلا تنفيذا لشروط تسوية  
١٨٤٠ - ١٨٤١ بالصورة التي ضمنت العرش لسعيد •

وكان سعيد حين تولي الحكم في الثامنة والثلاثين من عمره  
وكان يتقن اللغتين الانجليزية والفرنسية كما كان معروفا بميله الى  
فرنسا • وقد رجب كل سكان مصر بتولييه الحكم بسبب سخطهم  
على عباس الذي أرغم الكثيرين على العمل في بناء قصوره  
وتنفيذ مشروعاته الأخرى واصطنع القسوة في تشغيلهم ، هذا  
الى بخله • واستهل سعيد حكمه بالصفح عن الاساءات التي  
تعرض لها هو وأبناء ابراهيم وبارسال رسالة ودية الى الهامي  
وتصريحه بأنه لن يميل الى فرنسا أو لانجلترا بل سيكرس جهوده  
لتحقيق رخاء مصر •

ومهما كان الأمر فقد آذن عهد سعيد بفترة كان مقيضا لها  
أن تلحق أبلغ الضرر بمصر وسكانها •

---

(٣٦) نفسه - رقم ٢٥ بتاريخ ١٨٥٤/٧/١٧ ورقم ٣٩ املاء - وكلاهما

من بروس الى كلارندون •



## الموضوع الثانى

انهيار نظام الاحتكار فى مصر

بعد عام ١٨٤١



يسجل عهد محمد على نهاية العزلة التي خيمت على مصر في أعقاب الكشوف الجغرافية والفتح العثماني كما يسجل انخراطها في الاقتصاد العالمي \* فلقد شهد حكم محمد على بداية انتقال مصر من الاقتصاد المغلق الى الاقتصاد المفتوح وتميز بسيطرة الدولة على القسط الأكبر من النشاطات الاقتصادية (١) \*  
فما أن تخلص من أخطر خصومه السياسيين - أي المماليك - في عام ١٨١١ حتى بدأ يطبق نظام الاحتكار الذي ما لبث أن شمل كل نشاطات مصر الاقتصادية : فقد وضع يده على معظم أراضي البلاد وسيطر على اقتصادها (٢) وصناعاتها ، وذلك بعد مصادرتها للأراضي التي منح مساحات كبيرة منها للإبنائه وأقاربه وضباطه \*

---

(١) حسين خلاف : التجديد في الاقتصاد المعري الحديث ( القاهرة )

(١٩٦٢) ص ٤ - ٥ .  
(٢) اشار كلوت بك . (Aperçu général sur l'Egypte, II, P. 198) الى أن نظام الاحتكار لم يكن يطبق على كل منتجات مصر ، فقد كانت توجد كثير من السلع - ومنها معظم الحبوب - التي كان الفلاحون يتمتعون بحرية التصرف فيها .

ولم يخضع توزيع الأراضي هذا لأى قانون بل كان وليد مزاج الباشا ولم يصحبه أى تحر عن كان يمتلك هذه الأراضي في عهد البكوات المماليك الذين قضى عليهم أو اضطروهم الى الهجرة ، ويبدو محمد على افترض أن كل الأراضي التى لا يوجد لها مالك فعلى أصبحت تابعة للحكومة ، وبالتالي فانه فرض عليها نظام الالتزام أو قام بتوزيعها أو بزراعتها لحسابه الخاص بالشكل الذى يعود عليه بأقصى ربح ممكن (٣) . ولقد عانى الفلاحون العاملون في هذه الأراضي من مختلف الصعوبات وهبط مستواهم حتى أصبحوا في وضع شبيه بأقنان الدولة بحيث هاجر عدد كبير منهم من قراهم أو من مصر . كما ضيق نظام الالتزام على الصناعات وبخاصة اليدوية منها وقضى على ما تبقى لها من روح المبادرة الحر (٤) .

أما التجارة فكانت تتم اما عن طريق الالتزام أو احتكار الحكومة ، وكانت تجرى ادارتها بالصورة التى تعود على الوالى بأقصى ربح ممكن : فكان يصدر فرامانات تنص على بيع سلعه للتجار الذين يفضل التعامل منهم ، كما كان يعتمد الى رفع الأسعار بثتى الوسائل مما أدى الى شلل التجارة المحلية .

(٣) وثائق وزارة الخارجية البريطانية - الملف ٣٦٥/١٩٥ - الوثيقة

رقم ١٠ من مرقى لى كاتنج بتاريخ ١٨٥٢/٤/٢١ .

(٤) راجع : على الجريلى : تاريخ الصناعة في مصر ( القاهرة ١٩٥٢ ) -

أيضا : Issawi, Egypt in Revolution (London, 1963), P. 48.

وفى عام ١٨١٨ كان تسعة أعشار التجار من المغامرين الأجانب الذين بدأوا نشاطهم دون رأسمال يذكر - فلدى وصولهم الى البلاد كانوا يقيمون علاقات مع أحد رجال حاشية الباشا ويطلبون منه أن يصدر لهم فرمانا يمنحهم كمية معينة من الجبوب التى يدفع ثمنها بعد مرور عدة أشهر على استلامها ، وهذا الثمن كان يساعدهم على الاتجار الذى تعززه صلاتهم ببعض رجال الحكومة (٥) \* وكان بإمكان هذه القلة من التجار المحظوظين من ايطاليين ويونانيين ، أن يقدموا لمحمد على قروضا مالية كان بعضها بمثابة عربون لثمن الجبوب المتوخى تقديمها (٦) \* ومما أدى الى تعقيد احتكارات الحكومة تدخل قناصل الدول الذين كان عدد كبير منهم وكلاء للوالى وكانوا يمارسون تجارة واسعة النطاق عادت عليهم بأرباح طائلة (٧) \*

وقد طبق نظام الاحتكار على البلدان الأخرى التى امتدت اليها سلطة الوالى ، وكان من الصرامة فى السودان بحيث توقف السكان عن احضار سلعهم الى الأسواق \* وفرضت الحكومة ضرائب على نقل المنتجات من مكان الى آخر مما عرقل الحركة

---

Helen Rivlin, The Agricultural Policy of Muhammed Ali in (٥) Egypt, P. 175.

(٦) وثائق وزارة الخارجية البريطانية - بارنت الى كاننج فى اول

ديسمبر ١٨٤١ \*

(٧) محمد لؤاد شكرى وزميله ، بناء دولة - مصر محمد على

( القاهرة ١٩٤٨ ) ، ص ٤٠٢ \*

التجارية - اذ لم يستثن من احتكارات الحكومة سوى العبيد \* وفي كريت جرى احتكار الزيت (٨) ، وفي الشام طبق نظام الاحتكار بوجه عام وبخاصة على الحرير \* وكان هذا النظام من أهم العوامل التي جعلت محمد على يسعى الى التوسع في شبه الجزيرة العربية خاصة وأن رغبته في احتكار البن دفعته الى ارسال حملة الى اليمن (١٨٣٣ - ١٨٣٨) (٩) \* وأدى كل ذلك الى اضمحلال تجارة الترانزيت بين افريقيا وشبه الجزيرة العربية (١٠) \*

وقد جنى محمد على أرباحا طائلة من الاحتكار الذي كان الركيزة الأساسية لسياسته المالية وآداته لتجهيز جيشه وأسطوله والاتفاق على حملاته الحربية \* وفي ظل هذا النظام الاحتكاري أصبح محمد على في الواقع هو الوحيد الذي يمسك بزمام حركة التصدير في مصر ، اذ كان ما مقداره ١٦/٢ من تجارة الصادر حكرا عليه ، ولكن لم تكن له سيطرة مشابهة على الواردات - فقد كان يخضع للتعليمات الواردة في مرسوم سلطاني كان ينص على أن اتفاقا دوليا قد تم التوصل اليه بين الباب العالي والتجار الأجانب الذين حصلوا على حق ادخال

---

(٨) لينب مصمت راشد : كريت تحت الحكم المصري ( القاهرة ١٩٦٤ ) .

(٩) بناء دولة ، ص ٥٥ - ٧٠ .

(١٠) خلاف ، ص ٣٤٥ .

سلمهم الى كل أرجاء الممتلكات السلطانية بشرط رفع رسم استيراد قدره ٢٪ ، وكان تطبيق هذه القاعدة يوفر للتجار الأجانب مركزا متميزا بحكم أنهم كانوا يدفعون رسوما أقل مما يدفعه الرعايا العثمانيون من مسلمين وغير مسلمين \* على أن محمد على كان أكبر مستورد في البلاد والدليل على ذلك أن ٤٠٪ من واردات عام ١٨٣٦ كانت لحساب الحكومة (١١) \* .

وقد تطور نظام الاحتكار الذي فرضه محمد على في الوقت الذي كانت فيه التجارة الحرة قد وطدت أقدامها في أوروبا الغربية ، خاصة وأن ازدياد الانتاج في بريطانيا قد استلزم محاولة الحصول على فرص تجارية متزايدة وجعل الحكومة البريطانية تسعى الى دراسة أحوال التجارة في شتى أنحاء العالم بهدف إعادة النظر في المعاهدات القائمة والحصول على أحسن الشروط للتجارة البريطانية (١٢) \* وتمشى السلطان العثماني محمود الثاني مع اتجاهات بريطانيا بحكم أنه كان يسعى الى تدمير أكبر مصدر لدخل محمد على بحيث يمكنه أن يززع قدرته على الاحتفاظ بجيش قد يهدد السيادة العثمانية على مصر وأملاكها ، فعرض على الدول الأوروبية أن

---

A.E Crouchley, The Economic Development of Modern Egypt (London, 1938), PP. 88 — 9 (١١)

(١٢) رفلن ، ص ١٨٢ — ٣ — أيضا كروتشلي ، ص ٧٥ — ٧٦ .

يمنحها تنازلات واعفاءات جمركية وذلك بهدف اقامة العراقيل في وجه الوالى واضعاف علاقاته بالدول العظمى . وفى عام ١٨٣٤ أصدر فرمانا ينهى الاحتكارات الحكومية فى الشام ، وفى ١٦ أغسطس ١٨٣٨ وقعت الاتفاقية الانجليزية - التركية ( أو معاهدة بالطة ليمان ) (١٣) التى كانت تهدف الى تحطيم الممارسات الاحتكارية فى الامبراطورية العثمانية + وكان أهم ما نصت عليه هذه المعاهدة ما يلى :

#### ١ - التبادل الحر للمنتجات +

٢ - منح الرعايا البريطانيين وضع الدولة الأولى بالرعاية وتمتعهم بكل المزايا الممنوحة لرعايا الدول الأخرى .

٣ - تحديد الرسوم على الواردات بـ  $\frac{3}{100}$  مع اضافة  $\frac{2}{100}$  على القطاىى والغاء الضرائب الاضافية على الواردات +

٤ - تحديد الرسوم على الصادرات بـ  $\frac{12}{100}$  وأن يدفع المصدرون الأجانب  $\frac{3}{100}$  منها +

وحين أحاط محمد على بتوقيع معاهدة بالطة ليمان صرح بأنه سينفذ شروطها ، خاصة وأنه كان يدرك حاجته الى عطف

---

(١٣) يوجد نص الاتفاقية فى :

J.C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East Princeton, 1956) I, PP. 110 — 11.



الدول الأوروبية التي كان يسعى إلى الحصول على مساعدتها له في صراعه المرتقب مع الدولة العثمانية • ولم يشترط إلا أن يتمتع التجار الانجليز عن مطالبة المزارعين بشراء المحصول قبل جنيه • على أن يتمكنوا من شرائه بمجرد نقله من الأرض ، كما سمح بأن يتمتع المزارعون بالحرية الكاملة في نقل محاصيلهم الى السوق وأن يتصرفوا فيها كما يشاءون وأن يبيعوها لمن يقبل شرائها (١٤) • وبعد أن انتهى نزاع محمد على مع الباب العالي صرح بأنه راغب عن الاحتكارات على اعتبار أنه مقتنع بأن حرية التجارة في مصلحته (١٥) • على أن القنصل البريطاني العام في مصر - الكولونيل بارت - توقع أن يحاول محمد على التهرب والتسويق وتأجيل تطبيق التجارة الحرة على مصر وذلك لوجود أشخاص يفيدون من استمرار الأوضاع القائمة نتيجة للنفوذ القوي الذي حصلوا عليه لدى الوالي الذي كانت مصلحته تتطابق مع مصالحهم (١٦) • وقد ثبتت صحة توقعات بارت ، بحكم أن الوالي لم يكن على استعداد للاستغناء عن احتكاراته وأبدى رغبته في ابداء أقوى مقاومة ممكنة قبل أن يرغم بالتدريج على قبول شروط معاهدة بالطة ليمان والمعاهدات المماثلة

(١٤) دلال ، من ١٨٥ - ٦ •

(١٥) P.O. المرف ١٣/١٤٢ .. الوثيقة رقم ٨ من بابل بتاريخ

١٩ أغسطس ١٨٤١ •

(١٦) نفس الملف ، رقم ١٨ من بارت بتاريخ ١٩ سبتمبر ١٨٤١ •

الموقعة بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية الأخرى (١٧) \*

وكان اللورد بالمرستون ، وزير الخارجية البريطانية ، يعتقد منذ البداية أن الاحتكار لا تقل آثاره اذا ما امتد الى بلد بأسره بدلا من امتداده الى جزء من هذا البلد ، لأن هذا الاحتكار كان يفرضه الحاكم لمصلحته وحده بدلا من منحه لأشخاص معينين . وكانت الاحتكارات التي فرضها محمد على على مصر ، لمصلحته الخاصة ، تتناقض مع المعاهدة نفس تناقضها فيما لو كان قد منحها ليستفيد منها أشخاص آخرون . وازاء استحواذ الوالى على مساحات واسعة من أراضي مصر فقد كان من رأى بالمرستون أنه ما لم يكن قد حصل عليها عن طريق الشراء فلا يمكنه الاحتفاظ بها الا اذا اعتبر حائزا لها باعتباره ممثلا لسيده السلطان لا باعتباره واليا لا يتمتع كونه أحد رعايا السلطان (١٨) \* ومما يجدر ذكره أن معاهدة لندن الموقعة في عام ١٨٤١ كانت تنص على وجوب احترام كل المعاهدات التجارية التي عقدها الباب العالي مع الدول الأجنبية \*

وقد قدم محمد على المتجار بعض التازلات الصغرى حين

---

(١٧) بادوت الدول الآنية الى عقد معاهدات مماثلة مع الدولة العثمانية :

النمسا - باجيك - فرنسا - هسبة الهانسا - سردينيا - السويد - النرويج - اسبانيا .. جراند - الدانمرك ( بناء دولة ) ص ٥٩ .

(١٨) ملف ، وزارة الخارجية البريطانية ٧٨/٧٠٨ - بالمرستون الى كامبل

في ١٢ أكتوبر ١٨٣٩ .

سمح لهم بالاتصال المباشر بالفلاحين وذلك رغم احتفاظه بحق تحديد سعر السلعة وشراء المنتجات بالسعر الذي يحدده ما لم يشتريها شخص آخر (١٩) \* وفى أغسطس ١٨٤١ وجد بارت أن معاهدة ١٨٣٨ لا تطبق وعزا ذلك الى عدم امتناع الأفراد عن تقديم الشكاوى الواضحة من الحكومة نتيجة لخرقها للمعاهدة اذ كان بعضهم يخشى اغصاب الوالى الذى كانوا يدينون له بثرواتهم ، فى الوقت الذى كان فيه آخرون يفضلون الوقوف موقفا سلبيا فى حين اعتقدت القلة الا فائدة على الاطلاق من القيام بأى تحرك وأن من الأفضل ترك الأمور تسير فى مجراها . لهذا كله صعب على بارت أن يعثر على حالة محددة تمكنه من أن يبنى عليها شكواه (٢٠) \* وهكذا استمر احتكار السفن التى تبحر على النيل وترعة المحمودية ، وازاء عدم السماح بامتلاك السفن واستجارها فقد ثبت ألا جدوى من حرية شراء منتجات البلاد (٢١) \*

واشترك بارت مع القنصلين العاملين الروسى والفرنسى وعدد غير قليل من التجار البريطانيين فى الاحتجاج على هذا الاجراء ، فوعده محمد على بالاستجابة لاحتجاجاتهم \* وكان تعليق بارت على ذلك وجوب مواصلة الضغط على الوالى قبل

(١٩) رفلن ، ص ١٨٦ \*

(٢٠) بارت الى كاننج فى أول ديسمبر ١٨٤١ \*

(٢١) بارت الى كاننج فى ٢٠ مارس ١٨٤٣ \*

أن يتحقق ما يشبه حرية التجارة في مصر وأنه ما لم يشد الباب  
العالي أرز بريطانيا بصدد تطبيق معاهدة ١٨٣٨ على مصر  
فسيجد محمد على باستمرار حججا لتنصله من تطبيق بنود  
المعاهدة التي تمس حقه في الاحتكار .

وردا على الاحتجاجات المتكررة التي تقدم بها بارنت الى  
الوالى أكد محمد على مرارا وتكرارا رغبته في الغاء الاحتكارات  
بالتدريج وتطبيق حرية التجارة على مصر . وأشار الى صعوبة  
اجراء تغيير مفاجئ على نظام استمر فترة طويلة وذلك رغم  
استغلاله لمعاهدة ١٨٣٨ في رفع رسوم التصدير والاستيراد .  
وحينئذ أبلغه بارنت أنه في حالة عدم الغاء الاحتكارات سيضطر الى  
ابلاغ التجار البريطانيين بأنهم في حل من عدم دفع الرسوم  
الاضافية على التصدير والاستيراد التي نصت عليها معاهدة  
١٨٣٨ ، وحث في نفس الوقت على ضرورة اصدار أوامر  
واضحة للمديرين وغيرهم من الموظفين حتى لا يثيروا العراقيل  
أمام شراء القطن والحبوب وغير ذلك من منتجات مصر من  
المزارعين وطلب اعلان ذلك في شتى ربوع مصر . ورغم نجاحه  
في التوصل الى الغاء احتكار الأبندة والخمور فقد كان يشك  
في جدوى العمل على فرض الرسم بشكل آخر عن طريق فرض  
ضريبة على تجار القطاع في المدن (٣) . وقد أصدرت حكومة

---

(٢٢) الملف رقم ١٣/١٤٢ - رقم ٣ من باريك بتاريخ ١٧ يناير ١٨٤٢ .

النمسا وأمرها إلى قنصلها العام بالإشتراك مع بارت في القيام  
بجهد بصدد هذه المسألة ، كما صدرت تعليمات إلى قنصل  
فرنسا العام بأن يبذل كل ما في وسعه بالتنسيق مع قنصلي النمسا  
وبريطانيا لاقتناع الوالى باتباع نظام البيع العلنى بالمزاد وهو  
ما وعد مرارا وتكرارا بتنفيذه (٣٣) •

ورغم ذلك كله فقد واصل محمد على اتباع سياسة  
الاحتكار واقترح على بعض التجار أن يبيع لهم قطن مصر والسودان  
ومحاصيلها بسعر مخفض في مقابل بعض التسهيلات المالية  
التي يقدمونها له (٣٤) • كما قرر بيع كمية كبيرة من القمح كان  
قد عرضها في الماضى على بعض الأطراف ( ٢٥ ) • وفى تلك  
الأيام كان يفيد من بنود المعاهدة التى مكنته من رفع الرسوم  
على الصادرات والواردات • وكان بارت يرى أن أهم المضار  
التي كان من الممكن أن تواجه التجارة البريطانية ، فيما  
لو أمكنت إزالة كل المصاعب الأخرى ، ترتبط بالنظام الذى كان  
الوالى لا يزال يفرضه فيما يتعلق بالاستيلاء على أراضى الفلاحين  
مما كان يعنى أنه يفرض بالتدريج احتكارا لكل منتجات

---

(٢٣) نفس الملف ، رقم ٩ و ٣٩ من بارت بتاريخ ٢٣ فبراير ١٨٤٢

• ١٧ نوفمبر ١٨٤٣ •

(٢٤) من بارت بتاريخ ٢٦ أغسطس ١٨٤١ •

(٢٥) الملف ٥٤١/٧٨ - رقم ٦ وزارة الخارجية إلى بارت في

٣ أبريل ١٨٤٣ •

البلاد (٢٦) • فقد منح أفراد أسرته ما يقرب من كل شفالِك الصعيد وذلك سعيا منه إلى التهرب من بيع محاصيل هذه الأراضي بالمزاد العلني في الوقت الذي كان يستطيع فيه أن يمنحها لأصدقائه (٢٧) • كما كان قد أصبح مالكا لثلثي الأراضي الصالحة للزراعة في مصر وكان يضع يده على نسبة كبيرة من منتجات الفلاحين التي كانت الحكومة تشتري قدرا منها بالسعر الذي تحدده وتأخذ قدرا آخر في مقابل الضرائب •

ولهذا فاذا ما اعتبر مالكا للأرض كان حر التصرف في المحصول ، أما اذا اعتبر حاكما لمصر فانه كان يتصرف في الأراضي بالنيابة عن سيده السلطان وحينئذ كان عليه أن يطبق المادة الثانية من معاهدة ١٨٣٨ (٢٨) • التي نصت على بيع محاصيل

(٢٦) من باونٲ في ٣ يناير ١٨٤٢ •

(٢٧) ٨٥٢/٧٨ - من باونٲ بتاريخ ١٥ يناير ١٨٤٤ •

(٢٨) كان نص هذه المادة كالآتي : « بسمح لرعايا جلالة ملكه بريطانيا أو لندوبيهم بأن يشتروا في كل الأماكن الداخلة ضمن الأملاك العثمانية ( سواء بالنسبة إلى التجارة الداخلية أو التصدير ) ، دون أى استثناء ، منتجات أو نظير أو محاصيل هذه الأملاك ويتمهد الباب العالي رسميا بإلغاء كل الاحتكارات المعروفة على المنتجات الزراعية أو كل سلعة أخرى ، وكذلك إلغاء كل التصريحات التي تصدرها الحكام المحليون لشراء أى سلعة أو لقاء من مكان إلى آخر بعد شرائها . وكل محاولة لبذل لأشخاص رعايا جلالة ملكة بريطانيا على استتلام مثل هذه التصريحات من الحكام المحليين ستعتبر خرقا للمعاهدات وسيوقع الباب العالي في الحال عقوبات قاسية على أى وزراء وغيرهم من الموظفين الذين يرتكبون مثل هذه المخالفات ، وسيجرى انصاف الرعايا البريطانيين - بتطبيق أكبر قدر من العدالة - من كل المضار والخسائر التي يثبت مرور الزمن أنهم قد تعرضوا لها » •

الأراضي بالمزاد العلنى ، وهو ما كان يطبق فى استانبول على المحاصيل التى فى يد الحكومة العثمانية (٢٩) . وقد أنصاع محمد على لضغط القناصل وأصدر تعليمات تقضى بمنح الأجانب حق بناء السفن من أجل استعمالهم الخاص وبأن ينقلوا عليها منتجات البلاد بشرط أن يقوم بالخدمة فيها ملاحون مصريون وأن تحمل العلم التركى . ولكن قبل أن يتمكن التجار من بناء السفن لمسوا صعوبة استئجار مزيد من السفن فى حين أن من كانوا يمتلكون سفنا لم يستطيعوا الحصول على ملاحين . وقد قيل فى ذلك ان احتكار السفن قد انتهى برغم كون الملاحين من رعايا الباشا الذين لا يمكنهم التصرف الا بحسب مشيئته (٣٠) .

وحاول بارت اقتناع الوالى بالتخلي عن احتكار وسائل النقل وفتح المناطق الداخلية من البلاد أمام ملاحه الأجانب وذلك رغم أن التجار البريطانيين كانوا لا يتجهون الا نادرا الى داخل البلاد بقصد شراء الحنطة أو غيرها من المنتجات - فهم كانوا يفضلون الشراء فى الاسكندرية على المتاعب والمخاطر الناتجة عن نقل السلع عن طريق النيل (٣١) . ولم يلتزم محمد على بأى وعد بصدد احتكار وسائل النقل ، بل انه احتكر الطريق البرى

(٢٩) الملف ٥٤١/٧٨ - رقم ٢٧ من بارت بتاريخ ١٩ اغسطس ١٨٤٣ .

(٣٠) دفلن ، ص ١٨٧ .

الممتد بين القاهرة والسويس ، وفي عام ١٨٤٦ انتقلت خدمات النقل الى الحكومة المصرية وأصبح كل الموظفين الأوروبيين في الشركة تابعين للحكومة وانقصت رسوم السفر من ١٥ الى ١٢ جنيهها مما أدى الى سخط المسافرين البريطانيين والحكومة البريطانية التي حاولت دون طائل عقد معاهدة مع الوالى حول الطريق البرى بين القاهرة والسويس ، كما اشترى محمد على سفن شركة بنسولار وأورينتال التي كانت تقوم بالنقل النهري على النيل .

ورغم أن محمد على لم يعرض فطنته في المزاد العلنى ولم يبد أى استعداد للسماح لأى تاجر مستعد لدفع الثمن اللازم بالحصول على هذا القطن ، فان لورد بالمستون لم يعتقد أن الوالى كان يسعى الى التهرب من شروط المعاهدة ، وكان يرى أن الأمر لا يستدعى تدخلا من جانب الحكومة البريطانية . فقد يكون الاجراء الذى اتخذته مربحا له ، ولكن حتى يتضح أن الرعايا البريطانيين لا يعاملون على نفس الأسس المطبقة على رعايا الدول الأخرى لم يكن ثمة مبرر للشكوى (٣١) . لهذا كان من رأى بارنت أن الأمر يستلزم ابلاغ التجار البريطانيين بأنهم فى حل من عدم دفع الرسوم التى نصت عليها المعاهدة الا بعد أن تطبق كل نصوصها (٣٢) . وقد وافقت

(٣١) من بارنت بتاريخ ٢٠ مارس ١٨٤٣ .

(٣٢) من وزارة الخارجية الى بارنت بتاريخ ٢٥ يولية ١٨٤٣ .



الحكومة البريطانية على وجهة نظره هذه ، ولكن لما كان  
 سفيرها في استانبول سير ستراتفورد كاننج ( ستراتفورد  
 دى ردكليف فيما بعد ) قد ذهب الى أن الباب العالي قد تعهد  
 باقناع محمد على بالغاء الاحتكارات وبأن يمتنع من إثارة  
 ما يحمل الحكومة البريطانية على الشكوى منه فقد أرسلت  
 التعليمات الى بارنت لكيلا يتخذ أى خطوات أخرى لحث  
 الوالى على تنفيذ المعاهدة ما لم تصله تعليمات أخرى من وزارة  
 الخارجية أو من كاننج وذلك بعد التأكد من نتائج التدخل الذى  
 وعد الباب العالي بالقيام به (٣٤) . ولم ينكر الرئيس أفندى  
 ( وزير الخارجية التركى ) عدالة الشكاوى البريطانية كما لم  
 يعترض على موقف كاننج منها ، وان يكن قد أبدى كثيرا من  
 التردد فى اصدار أوامر علنية لمحمد على فى ذلك الوقت ذاهبا  
 الى أنه قد وعد بالغاء الاحتكارات بمجرد انتهاء مدة العقود  
 القائمة خاصة وأن الصدر الأعظم قد كتب الى الوالى بنفس  
 الفحوى الذى طالب به كاننج (٣٥) . الا أن بارنت لم يبد  
 استعداداه اتوقع نتيجة ايجابية جدا لمساعى الباب العالي بصدد  
 تنفيذ المعاهدة فى مصر لأن محمد على كان يستند الى حزب قوى  
 فى استانبول ولأن مشاكل الدولة العثمانية المالية كانت تحول

(٣٣) وزارة الخارجية الى بارنت بتاريخ ٢٤ مارس ١٨٤٢ .

(٣٤) نفس الوثيقة .

(٣٥) الملف ١/٤١ - رقم ٢ من كاننج الى بارنت فى ٥ مارس ١٨٤٢ .

بينها وبين اثاره محمد على الذى كان يحتمل أن يعمد الى تأخير دفع الارشالية التى كان على مصر أن ترسلها سنويا الى استانبول (٣٦) •

على أن محمد على أبدى فى مايو ١٨٤٢ استعدادا أكثر من ذى قبل للتمشى مع مقترحات بارت والقناصل العاملين الآخرين ، فوافق على أن يقوم فى المستقبل ببيع منتجات الأراضى التى يمتلكها بالمزاد العلنى ، فباع ٤٠٠٠٠ رءب من محصول بذرة السمسم المتوقع وباع كل كميات الجيوب التى توقع الحصول عليها بسعر يقل عما عرضه أربعة أو خمسة من التجار الذين اعتاد محاباتهم • وقد ألغى اتفاق البيع بعد تدخل بارت • ومما تجدر الإشارة اليه أن الطلب قد اشتد على طلب بذرة السمسم فى فرنسا التى كان يجرى فيها استخدام زيت السمسم فى انتاج الصابون (٣٧) • كما وافق محمد على على تطبيق معاهدة ١٨٣٨ وذلك حين وعد بوقف احتكار القطن بعد جنى المحصول التالى •

ثم انتقل بارت الى مسألة التعريف التى حددت الرسوم الواجب دفعها عن مختلف سلع التصدير والاستيراد • وكان من رأيه أن التعريف قد حددت دون ادراك كاف لمتوسط أسعار

---

(٣٦) الملف رقم ١٣/١٤٢ - المكاتبه رقم ١٨ من بارت الى وزارة الخارجية ٢١ ابريل ١٨٤٢ •  
(٣٧) نفس الملف - من بارت الى وزارة الخارجية فى ١٥ مايو ١٩٤٢ •

السلع المصدرة أو لنوعية وقيمة السلع المنتجة التي كانت تشكل أكبر نسبة في الصادرات البريطانية الى مصر (٣٨) • وكانت كل السلع التي يجرى انتاجها في بريطانيا وترد الى مصر تطبق عليها هذه التعريفة ، ولما كانت معاهدة ١٨٣٨ تفرض تعريفة قدرها ٥٪ على الواردات و ١٢٪ على الصادرات فقد وافق محمد علي في النهاية على اقتراح بارت الخاص بدفع رسوم الاستيراد والتصدير (٣٩) • وبذلك أمكن التخلص من عقبة كبيرة بصدد تطبيق حرية التجارة في مصر • ولكن رغم الغاء بعض الرسوم التي فرضت على البضائع لصالح التجارة البريطانية فقد ظل التجار البريطانيون يدفعون رسوما تزيد على ما كان يدفعه رعايا روسيا الذين كانت المعاهدات تسمح لهم باستيراد بضائع الى داخل الأملاك العثمانية بعد دفع رسم الاستيراد البالغ ٣٪ وهو ما كان يدفعه التاجر البريطاني مقابل كل الرسوم الداخلية الأخرى • وبعد الغاء هذه الرسوم والرسوم الداخلية كان الرعايا الروس يتمتعون بكل مزايا الغائما

---

(٣٨) - بلغ رسم تصدير القطن أكثر من ٢٢٪ على حين بلغ رسم تصدير الصوف من ٢٠ الى ٢٥٪ ومن مخا ١٤٪ والقرطم ٥٠٪ وقرن الجاسوس والبقير ٢٢٪ والافيون ١٥٪ وكل أنواع العيوب ما يتجاوز ١٢٪ وبلغ رسم استيراد القطنية حوالي ٩٪ بدلا من ٥٠٪ •

نفس الملف - رقم ٢٠ من بارت الى وزارة الخارجية في ٢٠ مايو ١٨٤٢ •

(٣٩) من نفس الشخص في ٢٦ مايو ١٨٤٢ •

دون أن يدفعوا مقابلا لذلك مما أعطاهم ميزة ٢٪ على الرعايا  
البريطانيين (٤٠) •

كما طبق نظام الاحتكار على السودان الذي ظل تحت  
الادارة المصرية بعد عام ١٨٤١ طبقا لفرمان خاص منح لمحمد علي  
الذي سبق أن رأينا أنه كان منذ البداية قد اقترح على تجار  
معينين أن يبيع لهم محاصيل القطن والقمح في مصر والسودان  
مقابل الأموال التي يدفعونها له بين وقت وآخر وأن يسلم هذه  
المحاصيل بثمان أقل من سعر السوق • وكان معنى هذا احتكار  
محمد علي لمحاصيل مصر والسودان وأن يكون التجار  
القليلون الذين يحصلون على هذا المحصول هم البائعون  
الوحيدون له ، وكان من المفهوم أنه سيتقدم ما لايزيد على ستة  
تجار ، ومعنى ذلك فرض احتكارين مما جعل من المستحيل أن  
تتنافس هيئة التجار في شراء أو بيع السلع لمن امتلكوها بهذه  
الوسائل • وقد يجوز القول بأن الوالى بتنظيمه هذه الشركة  
من المشترين قد تهرب من وعده بتنفيذ بنود معاهدات  
الامبراطورية العثمانية مع الدول الأجنبية • وهكذا اتضح أن  
الاجراء المقترح كان شديد الوطأة على التجارة العامة وعلى  
التجارة البريطانية بالذات وذلك على اعتبار أن المحتكرين لن  
يعجزوا عن أن يبيعوا لمواطنيهم وغيرهم بأعلى الأسعار في الوقت

---

(٤٠) الملف ٨/١٤١ روبرتسون الى بارنت - أول مارس ١٨٤٣ •

الذي تعترضهم فيه منافسة في السوق العام (٤١) . وفي مارس ١٨٤٢ أعلن بوغوص بك وزير التجارة والشئون الخارجية في مصر أن الوالي قد أصدر أوامره الى حاكم سنار بأن يطلق العنان للتجار بسلع البلاد من الحنة والصمغ والعاج والجلود ونبات السنا . وصدرت في نفس الوقت أوامر من الوالي لنفس الحاكم بشراء كل هذه السلع لحسابه مما كان يعنى عودته الى سياسة الاحتكار وتطبيقها لمصلحته الخاصة (٤٢) .

ومن الطبيعي أن تتجه كل منتجات سنار الى مخارج لتجنب الأرباح الطائلة التي سعى الوالي المحتكر الى الحصول عليها - وكانت أهم هذه المخارج ميناء مصوع وسواكن الواقعان على الساحل الغربي للبحر الأحمر . ولما كان محمد علي مصمما على تحقيق هدفه بكل الوسائل الممكنة فقد حصل من الباب العالي على حكومة المدينتين مما جعله يعلق كل المنافذ أمام منتجات سنار ويحمل تجار الصمغ الأوروبيين في جدة وغيرها على الاعتماد عليه في الحصول على هذه السلعة (٤٣) . وكان وضع الوالي في السودان أضعف منه في

---

(٤١) الملف ٧/١٤١ - رقم ٢٦٤ من بولسنبى الى بالمرستون في

٣ أغسطس ١٨٤١ .

(٤٢) ٢٠٩/١٩٥ - باولت الى كاتنج في ٦ ابريل ١٨٤٢ - أيضا ٧٠٨/٧٨

رقم ٤٩ من مري الى بالمرستون في ١٠ أغسطس ١٨٤٧ .

(٤٣) ١٠٨/٧٨ رقم ١٤ من مري الى كولى في ١٥ يولييه ١٨٤٧ .

مصر : فعلى حين أنه كان يحكم مصر على أساس وراثى فقد عهد اليه بياشوية سنار برغبة السلطان ورضاه ، خاصة وقد نص فرمان على كونها باشوية منفصلة لا ينطبق عليها مبدأ الوراثة • وقد أدى هذا الى احتجاج كل من بريطانيا وفرنسا والنمسا فى كل من القاهرة واستانبول • وفى يونية ١٨٤٨ أصدر الصدر الأعظم فرمانا (٤٤) الى والى مصر يأمره فيه بأن يمتنع عن احتكار منتجات سنار • بل ان القنصل البريطانى العام - مرى Murray - ذهب الى أن تردد الوالى أو امتناعه عن تطبيق المعاهدة من شأنه أن يستتبع حث الباب العالى على خلع باشوية سنار على موظف يرسل من استانبول رأسا واسترجاع الباب العالى لحكومة مصوع وسواكن بعد وفاة محمد على (٤٥) • وفى نوفمبر من نفس العام وافقت الحكومة المصرية على وضع حد لاحتكار سنار بعد ثلاثة أشهر (٤٦) • وصدرت الأوامر الى حاكمى مصوع وسواكن بالألا يعرقلا تصدير الصموغ والسنا التى يمتلكها التجار البريطانيون (٤٧) •

---

(٤٤) ١٥/١٤١ ( نسخة ) الصدر الأعظم الى باشا مصر بتاريخ

٦ يونيه ١٨٤٨ •

(٤٥) ١٦/١٤٢ .. رقم ٢٧ من مرى الى مارستون فى ٣ يوليه ١٨٤٨ •

نوفمبر ١٨٤٨ •

(٤٦) ٧٨/٧٦٥ - من وزارة الخارجية البريطانية الى مرى بتاريخ أول

نوفمبر ١٨٤٨ •

(٤٧) ٧٨/٧٥٧ - من اوتين بك الى مرى فى أول يوليه ١٨٤٨ •

وفي عهد عباس الأول ألغيت احتكارات سنار وأطلقت حرية  
تجارة الصمغ والسنا - وبقية منتجات هذا الاقليم \* كما  
أعاد عباس سواكن ومصوع الى الدولة العثمانية بسبب بعدهما  
عن مصر ولأن محمد على لم يحصل عليهما الا للسيطرة على  
المخرج الشرقي الوحيد لمنتجات سنار والسودان - وقد وضعت  
هاتان المدينتان منذ ذلك الوقت تحت سلطة باشا جدة \*  
ولم تتردد الحكومة البريطانية في تعيين ممثل قنصلى في  
الخرطوم بإمكانه حماية التجار البريطانيين الذين ازداد نشاطهم ،  
منذ إلغاء احتكار الصمغ والسنا ومنتجات سنار الأخرى ، في  
الاتجار بهذه السلع<sup>(٤٨)</sup> \* وفي عهد عباس الأول تدهورت التجارة  
الداخلية والخارجية وكانت النتيجة هي أن كميات ضخمة من  
المنتجات والحبوب والقطن تكدست في شون الحكومة لعدم  
صلاحيتها للبيع بثمن يبلغ ٦٠٪ من القيمة التي كانت عليها في  
العام السابق - وفي الوقت الذي كانت فيه الموارد الاتجاجية  
في مصر تعاني من الشلل استمر الاتفاق على بناء القناطر الخيرية

---

(٤٨) ( ١٧/١٤١ رقم ) وزارة الخارجية الى مري في ١٢ مارس ١٨٥٠ .

في الوقت الذي كانت فيه المدينتان تخضعان لحكام يمينهم الباب العالي رأسا  
نشطت التجارة الى حد كبير بينهما وبين جدة ونوماي وأماكن أخرى قام بالاتجار  
فيها تجار معظمهم بريطانيون وانجليس - هنود ( ١٦/١٤٢ - رقم ٦ من مري  
لكانج في ١٨٤٨/٦/٢٥ ) \*

والترع والتحصينات وغيرها من الاستعدادات الحربية (٤٩) . وكانت الخزانة خاوية وكانت كل ادارات الخدمة العامة مفلسة باستمرار وكانت القسوة الشديدة لاتزال تصطنع في ارجاع الفلاحين الى شفاك الوالى بعد أن دفعهم سوء المعاملة والعوز الى مبارحتها (٥٠) . وحين وجدت الحكومة المصرية ألا فكاك من تطبيق بنود المعاهدات وافقت على إلغاء الرسوم التى كانت مفروضة حتى ذلك الوقت على بولاق ، ميناء القاهرة (٥١) .

وفي عهد عباس جرت تغييرات كثيرة أثرت في تجارة مصر وعلاقاتها الخارجية - فقد طبق دون هوادة أمر صدر لأول مرة في عهد محمد على وبمقتضاه كان لا يمكن تنفيذ أن اتفاق لشراء المحصول من الفلاحين عن طريق الدفع مقدما ، وذلك بالموافقة الضمنية من جانب القناصل العامين . وكان كل ذلك في البداية

---

(٤٩) ٦٢٣/٧٨ - بارنت الى بالمرستون في ١٧/٦/١٨٤٨ ورسالة أخرى مؤرخة ١٨٤٨/٧/٣ .

(٥٠) نفس الملف - بارنت الى كاننج في ١٤/٣/١٨٤٥ .

(٥١) ٣٣٠/١٩٥ - رقم ٢٩ من مري الى بالمرستون في ١٩/٣/١٨٤٩ . جرت محاولة بين مري وأرتين . وقد رد مري على ملحوظات أرتين عن صعوبة وضع حد للتهرب بأن مثل ذلك يحدث بدرجة أكبر في إنجلترا وفرنسا وأن من واجب الحكومة أن تواجه هذه الصعوبات وتتغلب عليها بأقامة مراكز جمركية تتميز بالكفاءة في مدن وموانئ الحدود لا في أماكن بالداخل لما يتضمنه هذا من خرق للاتفاقيات التجارية القائمة .

(٣٣٠/١٩٥ - رقم ٦ من مري الى كاننج بتاريخ ١٢ مارس ١٨٤٩ ) .



موضعا لبعض الشكوى من جانب صغار التجار والوكلاء الذين اعتادوا على زيارة الأقاليم لشراء كميات صغيرة من المحصول كانوا يقومون ببيعها في أسواق القاهرة والاسكندرية . على أن مثل هذه الشكاوى لم تقدم فيما بعد - وقيل ان عهد عباس الأول الذى تميز بالتساهل أدى الى اهمال هذا القانون الذى لم يبلغ على أى حال . وكان هذا يجرى فى بعض المناطق بعلم من الحكام المحليين كما وجد نظام يقوم على التهرب كان يتبع بنجاح بوجه عام . وكان الشخص الذى يتقدم بعروض الى الفلاحين بشأن محصول لم يتم جنيه يحصل من المزارع ، بدلا من عقد بالصورة المألوفة ، على كمبالة مالية بمبلغ لا يشتمل فقط على النقود التى دفعها بل أيضا على مبلغ آخر من شأنه ، حسب تقديره ، أن يواجه ثمن السلعة فى الوقت المتوقع للتسليم . وكان ثمة اتفاق شفهي بين الأطراف ، وحين كان الفلاح يسلم المحصول كان مندوب التاجر يعفيه من تعهده المالى ، واذا ما عجز عن تسليم المحصول كان بالامكان أن يطلب من المحكمة المحلية تنفيذ الشروط المالية للعقد التى كانت تشتمل على ربح كبير . وكان يبدو أن هذا الاجراء شاذ رغم كونه مضمونا ، وكان بوجه عام مفيدا لحماية الأطراف المستعدة للتقدم بعروض للمزارعين .

أما الوكالات الكبيرة فلم تتعرض لأى ضرر طالما كانت الحكومة تبيع محاصيلها بالمزاد العلنى . وكانت هذه المزادات

تجرى بطريقة عادلة ، وفي فترات منتظمة أيا كانت حالة الأسواق .  
وعلى حين أن محمد على كان يبيع لحوالى اثنتى عشرة وكالة  
معظمها يونانية وفرنسية كانت تباع لتجار آخرين بأسعار عالية ،  
فإن عباس كان يبيع بالمزاد (٥٢) . وقد ثار التجار واحتج قناصل  
النمسا وسردينيا وتسكانيا على ما اعتبروه محاولة من جانب  
الوالى لاحتكار كل المحصول وعرقلة اتصال التجار بالفلاحين  
بهدف جعل منافسة الأجانب له أمرا مستحيلا (٥٣) . وكان في  
الواقع قد أصدر منشورا دوريا يقضى بstriation النظام الذى  
كان يطبق حتى ذلك الوقت من حيث تسليم المزارعين محاصيلهم  
لبیوت تجارية قبل أن يدفعوا الضرائب المستحقة للحكومة  
وأن أى أشخاص يشترون من مزارعين مدافين نتيجة لذلك قد  
يتعرضون لالغاء صفقاتهم ومصادرة بضائعهم (٥٤) ، مما يعنى  
العودة الى نظام الاحتكار القديم وخرق المادة الثانية من  
معاهدة ١٨٣٨ . وقد احتج قنصل بريطانيا العام - بروس -  
على هذا الاجراء وأصدرت الحكومة البريطانية تعليماتها الى  
سفيرها في استانبول لكى يبلغ الحكومة العثمانية بأن النظام  
الذى يطبقه الوالى يشكل بصريح العبارة خرقا للمعاهدة (٥٥) .

(٥٢) ١٦٦/٧٨ من والى الى باجت بتاريخ ٧ يناير ١٨٥٣ .

(٥٣) نفس الملف - رقم ٧ من باجت الى رسل بتاريخ ١٨٥٣/١/٣٠ .

(٥٤) نفس الملف - رقم ٦ من باجت الى رسل بتاريخ ١٨٥٣/١/٨ .

(٥٥) ١٠٣٤/٧٨ مسودة رقم ٣٦ من وزارة الخارجية الى بروس بتاريخ

١٨٥٤/٦/١٦ .

يضاف الى ذلك أن عباس أصدر أمرا في سبتمبر ١٨٥٣ يقضى بتجريم تصدير الحبوب بحجة أن فيضان النيل قد دمر نسبة كبيرة من المحصول • وازاء احتجاج القناصل وافق الوالى على تصدير الكميات الموجودة فى الاسكندرية • ورغم سماحه بنقل الحبوب الى الاسكندرية فان الحكومة لم تسمح بالتصدير الحر ولم يفرج عما تمتلكه الحكومة أو الوالى لكى يشق طريقه الى السوق (٥٦) • كما أصدر عباس أمرا ينص على أن تتوقف السفن المحملة بالحبوب فى العطف - حيث يلتقى النيل بترعة المحمودية • وقد احتج بروس على ذلك وبارش الضغط من أجل تطبيق المعاهدات وصرح للسلطات المصرية بأن الوالى سيضع نفسه فى مركز حرج بحكم أنه سيجعل ادارته المنفصلة لمصر لا تتمشى مع تشدد الباب العالى فى تطبيق معاهداته • وقد قيل ان الوالى قد اتبع هذا الاجراء لكى يستولى على المحصول بضمن بخرى على أن يبيعه بعد ذلك بما يعود عليه بالفائدة ، على حين رأى آخرون على معرفة جيدة بالبلاد أنه كان يخشى أن تطلب منه تركيا أن يزودها بكمية كبيرة من الحبوب - وقد ساد الاعتقاد بأنه كان يرغب فى الحصول على السلاح بحجة المحافظة على الأمن موفرا بذلك حجة لرفض طاعة الأوامر (٥٧) • وقد صرح عباس بأن الحكومة العثمانية طلبت من مصر أن

(٥٦) ١٠٥٢/٧٨ من بروس الى، كلارندون بتاريخ ١٦/٢/١٨٥٤ •

(٥٧) نفس اللاف - رقم ٢ من بروس الى كلارندون بتاريخ ٢/٢/١٨٥٤ •

تزودها بالحبوب ووعده بأن تدفع تسعين قرشا في مقابل أردب القمح حين يتم تسليمه الى استانبول (٥٨) • ولما كان شديد اللؤم ولم يكن على استعداد لبذل التضحيات في سبيل الحرب الناشبة بين تركيا وبريطانيا وفرنسا من ناحية وبين روسيا من جانب آخر ، فانه استحوذ على كل قطن البلاد ولم يقيم بيعه مما يدل على حرصه على أن يشاع عنه أنه يواجه صعوبة في الحصول على الأموال اللازمة للاصلاحات الداخلية التي كان يقوم بتنفيذها وأنه لم يدخر وسعا في مساعدة الباب العالي ، وذلك رغم أنه لم يتبين أن موارد مصر وأحوالها كانت معروفة تماما في استانبول (٥٩) • ولما وجد عباس أن اليونانيين هم المشترين الرئيسيون لمحاصيل المناطق الداخلية في مصر فقد قرر طردهم جميعا من البلاد • وقد اشتد حاكم الاسكندرية في تنفيذ الأوامر الصادرة اليه بهذا الصدد ، وحين بدا أن احتجاجات الدول الحليفة لم تكن موضع اهتمام بعد أن طالبت باطالة أمد المهلة لصالح اليونانيين الذين كان من المحتمل أن تتعرض تجارتهم واسعة النطاق مع البيوت التجارية لخسائر كبيرة فقد تم منح

---

(٥٨) ١٠٣٦/٧٨ رقم ٢٨ من بروس بتاريخ ١٨٥٤/٦/١٦ •  
 (٥٩) نفس الملف رقم ٣٤ من بروس بتاريخ ١٨٥٤/٧/٥ • ولم يستلم عباس رسالة الباب العالي بصدور الإجراءات التي اتخذها بصدد احتكار بيع الحبوب ، وذلك نتيجة لوفاته المفاجئة ( ١٨/١٢٢ ) - رقم ٧ من بروس الى ستراتفورد دي دكليف ( ستراتفورد كاننج في السابق ) بتاريخ ١٨٥٤/٨/٤ •

معظمهم الحماية الأجنبية • وكان عباس الذى سعى الى احتكار  
محاصيل البلاد قد وجد في التجار اليونانيين عقبة كاداء وقرر  
التخلص منهم (٦٠) ، خاصة وأن نشاطهم ومعرفتهم بلغة  
الأتراك وعاداتهم قد جعل منهم منافسين أقوىاء • الا أن السفير  
البريطاني في استنبول أصدر منشورا دوريا طالب فيه بالسماح  
للعرايا اليونانيين العاملين في البيوت التجارية البريطانية أو في  
خدمة الرايا البريطانيين بوجه عام بالبقاء على مسئولية من  
يقومون بالعمل لحسابهم أيا كان نوعهم وبأن تزودهم السلطات  
العثمانية « ببطاقة أمان » وذلك باستثناء الحالات التي يثير فيها  
سلوك أحد الطرفين شكوى خاصة من جانب البوليس (٦١) •

وكان موقف عباس من اليونانيين مرتبطا بسياسته الداخلية  
العامة • فقد كانت الأملاك التي ورثها أبناء محمد على و ابراهيم  
عبارة عن عهد وشفالك ( بمعنى أنها كانت في السابق في أيدي  
المماليك ) - وكان حائزو الشفالك لا يدفعون أى ضرائب  
للحكومة ، ولم يستول عليها عباس استيلاء مباشرا ، ولكن  
لما كان يسعى الى إلحاق الضرر بحائزيها فقد اتتوى تحقيق  
هدفه على الوجه التالي : فقد سعى حكام الأقاليم الى حرمان  
الملاك من الأموال اللازمة للزراعة بحيث ان الفلاحين كانوا

---

(٦٠) ١٠٣٥/٧٨ - من بروس الى، كلاندون بتاريخ ١٦/٥/١٩٥٤ •

(٦١) نفس الرسالة •

يزرعون الأرض لحسابهم حين يجدونها غير مزروعة - ومن الناحية القانونية كان يطلب منهم أن يدفعوا للمالك مبلغا يساوى قيمة ضريبة الأرض ولو أن تعليمات صدرت الى الحكام لكيلا يلبوا مطالب المالك الذى لم يعد يحصل على أى دخل منها مما اضطره الى تركها بعد وقت قصير • وكان ابراهيم باشا قد خلف ما ينوف على ٧٠ قرية اعتبرت عهدا وقام عباس بوضع يده عليها وبذلك حرم منها أبناء ابراهيم • وكان شاغل العهد يقدم رأس المال ويقوم بزراعة السكر والقطن التى تتكلف كثيرا من النفقات • وكان مشايخ القرى الأغنياء يلعبون فى زراعة نواحيهم دورا لا يقل عن ذلك أهمية • وبعد أن تضعفت أحوالهم أدت اجراءات الحكومة الخاصة بالضغط عليهم وارغامهم على الاستدانة الى تمكينها من الاستيلاء على أموالهم الوفيرة • وتدهورت الزراعة التى كانت مصدرا للأرباح طائلة بعد أن حرمت الأراضى من خدمات الرأسماليين فى الوقت الذى لم تفعل فيه الحكومة شيئا ملء الفراغ • ولم يقم الوالى باستثمار الأراضى الأقل خصوبة مما أدى الى لجوء الفلاحين المحرومين من مساعدة الرأسماليين المحليين الى عملاء البيوت التجارية الذين كانوا يقدمون لهم سلفا بضمان المحاصيل • ولما كان عباس شديد الرغبة فى حرمانهم من هذا المصدر فقد سعى الى إعادة العمل بمنشور دورى كان محمد على قد أصدره ونص على تحريم بيع المحاصيل غير الناضجة ، والى

ارهاب هؤلاء العملاء الذين كان بإمكانهم تشجيع الفلاحين على عدم التعامل مع مندوبي الحكومة والاستناد الى الامتيازات الأجنبية لكي يدافعوا عن أنفسهم في مواجهة قسوته (٦٣) .

وحين توفي عباس ترك مالية الدولة مدينة بما يقارب مائة مليون فرنك في الوقت الذي كانت فيه خزانة الدولة خاوية تماما (٦٣) . وقد أبدى خلفه محمد سعيد باشا بعض الميول الليبرالية (٦٤) كما أبدى تسامحا مع الأجانب وصل الى حد الضعف . ومرجع بعض هذا التسامح أنه كان يطمح الى تحقيق استقلال مصر . ولما كان تفوق العناصر الإسلامية في البلاد - في رأيه - يقوى قبضة السلطان على مصر فقد اعتقد أن اضعاف هذا النفوذ وتقوية النفوذ المسيحي والأوروبي من شأنهما زعزعة سلطة السلطان وتمكينه هو من الحصول على ألصار وحماة له (٦٥) . كما لم يتصف بالتعصب الذي تميز به عباس وكان شديد الحماسة للأخذ بأي اقتراحات تستهدف تحسين أحوال البلاد (٦٦) . وكان في نظر من يعرفونه رجلا طيبا

---

(٦٢) ١٠٣٦/٧٨ - رقم ٢٤ من بروس الى كلارندون بتاريخ أول

يونية ١٨٥٤ .

A. Sammerco, Les Règnes de Abbas, de Said et (٦٣)

d'Ismaïl (Rome, 1935), P. 8.

J.C Mc Coan, Egypt as it is (London, 1877), P. 81 (٦٤)

(٦٥) ٧٢٢/١٩٥ - رقم ٧ من بروس الى رسل بتاريخ ١٨٦٣/١/٥ .

(٦٦) ٤١٢/١٩٥ - رقم ١٥ من بروس الى ردكليف في ١٨٥٥/٧/١٧ .

حسن النية وان تكن حالته الصحية وقلة نشاطه لا تسمحان له بأن يكون له تأثير دائم على أحوال مصر خلال فترة حكمه (١٧) .

وكان سعيد منذ بداية حكمه يرغب في التخلص من الطابع المركنتيل الذي سبق لأسلافه أن فرضوه ولهذا لم يضع عقبات في وجه التجار الراغبين في التعامل مع الفلاحين في الداخل . وكان تعليق قنصل بريطانيا العام أن تنفيذ النظام من شأنه أن يثرى الفلاح وأن انشاء وكالات أوروبية سيستتبع في المستقبل اتباع مفاهيم إدارية أكثر استنارة في الداخل وتأمين المزارع على أملاكه ، خاصة وأن عدم توفير الأمن حتى ذلك الوقت كان يؤخر تنفيذ كثير من خطط الإصلاح في مصر . وأضاف أن سعيدا ذو صفات طيبة وأن أفكاره الإصلاحية معقولة ولو أن طبيعته كانت تتضمن بعض العيوب التي تجعل تحقيقها أمرا صعبا - إذ كانت تستهويه المشروعات الضخمة دون أن يتصف بقوة التحمل والعزيمة اللازمين لتنفيذ الإصلاحات الاجتماعية (١٨) .

وقد عمد سعيد الى الاعتراض على كل ما قام به سلفه مما كان يتناقض تماما مع كل ما اتناه من اصلاح الادارة . ويبدو أنه كان يرى أن أحسن وسيلة لاعادة تنظيم مختلف،

---

Dicey, Story of the Khedivate (ondon, 1890), P. 222. (١٧)

(١٨) ٤١٢/١٩٥ . بروس الى ردكليف في ٨/٧/٨٥٥ .



الادارات التى كانت قد تدهورت كثيرا فى عهد عباس هى  
الغاؤها كلية وتبرير ذلك بخفض النفقات وضرورة الوفاء  
بالديون التى خلفها عباس ولو أنه سار على نقيض سياسة  
سلفه القائمة على الاعتماد على العنصر العربى على حساب  
العنصر التركى - وقد أخبر قنصل بريطانيا العام بأنه يستهدف  
ألا يكون لديه من الضباط سوى الأتراك خاصة وأنه كان  
يعتقد أن العرب لا يصلحون لأى وظيفة عليا مما كان ينذر  
بوقوعه فى أيدي أنصار فرنسا الذين اعتبرهم أولى بالرعاية  
نتيجة لاضطهاد عباس لهم خاصة وأنه فتح أبوابه لهم وهو ما لم  
يفعله مع انتجار البريطانيين (٦٩) •

وقد ترتبت على كل ذلك سلسلة من الاصلاحات اللبرالية  
أهمها إلغاء الرسوم الجمركية الداخلية وكل الاحتكارات  
وبذلك تحققت حرية التجارة ولم تعد توجد عوائق تعترض  
الأشخاص الذين يتجرون فى الداخل مع المنتجين المحليين •  
وكانت النتائج مواتية جدا للملاك ، واشتد الطلب فى الاسكندرية  
على الصادرات مما أدى الى ارتفاع أسعار الحبوب فى المناطق  
النائية حتى أسوان خاصة وقد ألغى جمرك بولاق الذى طالما  
كان موضعا للسخط والاحتجاجات عديدة الجذوى ، كما ألغى

---

(٦٩) ٤١٢/١٩٥ بروس الى وزارة الخارجية فى ١٦/١٢/١٨٥٤ •

النظام السيئ الخاص برسوم الدخولية (٧٠) • الا أن الغاء نظام الاحتكار بهذا الشكل قد أفسح المجال أمام المغامرين الأجانب في حين أن الأشخاص الذين نالوا حظوة الوالى قد اهتموا بالسعى الى الحصول على امتيازات لهم دون غيرهم بصدد تنفيذ مشروعات لهم يكن لمصر سابق عهد بها • وكان لابد لهذا النظام أن يكون شديد الضرر لأنه منح مزايا لأشخاص كانوا قد نالوا حظوة الوالى وبالتالي فانه تضمن قيودا على اصلاحات المستقبل وعرض شعب مصر وتجارها للأسعار التى كان هؤلاء المحتكرون يسعون الى فرضها (٧١) •

وأثبت ضعف سعيد شدة اضراره برخاء مصر لأنه أفسح المجال لتدخل القناصل الأجانب الذين حقق كثير منهم أرباحا عن طريق استغلال مناصبهم بأساليب غير شريفة • وكان القناصل العامون الذين يتقاضون أجرا هم قناصل فرنسا والنمسا واليونان وبروسيا وبريطانيا واسبانيا والولايات المتحدة وسردينيا وروسيا • أما القناصل الذين لم يتقاضوا أجرا وكانوا يمارسون التجارة فهم قناصل هولندا وبلجيكا وتسكانيا وناپولى والدالمرك وعصبة الهانسا والبرتغال والسويد • وكان معظم القناصل الذين لا يتقاضون أجرا من مواطنى البلاد التى

---

(٧٠) ٥٢٢/١٩٥ - رقم ٨ من بروس الى وزارة الخارجية في ١٨٥٧/٢/٢ •

(٧١) ١٣٣٨/٧٨ - رقم ٢١ من بروس في ١٨٥٧/٣/١٣ •

يمثلونها - وعلى سبيل المثال كان قنصل نابولي مشرقيا عاديا جمع ثروة \* وكان بعض القناصل قد اشتروا وظائفهم لاستغلال الفرص التي توفرها للحصول على صفقات الحكومة دون أن يسبق لهم تلقي أى تعليم خاص يمكنهم من الاضطلاع بالواجبات القضائية المطلوب منهم القيام بها \* ومن الطبيعي أن يكون هدفهم هو اقامة علاقات طيبة مع الحكومة المحلية واستغلال سهولة اتصالهم بالوالى باعتبارهم قناصل عامين (٣٢) \* وترتب على كل ذلك أن لعب هؤلاء القناصل دورا حاسما في فتح أبواب مصر للرأسمالية الغربية النامية ولهجرة الأوروبيين (٣٣) الى البلاد ، كما قاموا بالضغط على الحكومة المصرية للحصول على تعويضات عن خسائر كانت وهمية في كثير من الأحيان \* وقد سجل قنصل بريطانيا العام رأيه حول الدور الذي لعبه أمثال هؤلاء القناصل على الوجه التالى : « تتفق نظرة هؤلاء السادة الى المسائل العامة مع يفيد مصالحهم أكثر من اتفاقها مع سياسة الحكومة التي يمثلونها ، ففي بداية عهد سعيد في الوقت الذي كانت تناقش فيه فوائد وضع حد لسياسة احتكار الحكومة للمحاصيل،

---

(٧٢) ١٢٢٢/٧٨ - رقما ١٣ و ٢١ من بروس الى كلارندون بتاريخ

١٨٥٦٥/٥ و ٤/٤ ..

(٧٣) ولم يدم وجود احصائيات دقيقة في مصر حتى عام ١٨٩٧ يقدر

ميسوي عدد الاجانب في مصر في عام ١٨٣٦ بثلاثة آلاف وفي عام ١٨٧٨ بأكثر

من ثمانية وستين ألفا وفي عام ١٩٠٧ بمائتي ألف واحد وعشرين ألفا .

Issawi, *Egypt in Revolution* (London, 1963), P. 48,

وهي السياسة التي سعى عباس باشا مؤخرا الى اعادة تطبيقها ،  
 كان من أشد معارضي وجهات نظره اللبرالية فنصل بلجيكا  
 العام الذي لاشك أن تصريحاته لم تكن تتسجم مع سياسة  
 الحكومة البلجيكية الخاصة بمثل هذه الأمور » (٧٤) .  
 وكان من رأى بروس أن مصالح الدول الأجنبية وتركيا ذاتها  
 كانت تتطلب عدم خلع الصلاحيات القضائية واسعة النطاق التي  
 كان يتمتع بها القناصل الذين يمثلون الدول الأجنبية في المشرق ،  
 الا على أشخاص يشتغلون بالتجارة وأن دخولهم في سلك  
 وظائف الدولة التي ينتمون اليها وتلقيهم مرتبات كافية مما يوفر  
 ضامانا كافيا لاستقلاليتهم وأداء مهامهم بوحى من  
 الضمير (٧٥) .

وكان سعيد تركيا - وكان من عادة الأتراك ، في الوقت  
 الذي يتبينون فيه أن ممثلي الدول الأجنبية يشتركون في المطالبة  
 بقسط من المكاسب الناتجة عن اتهامهم للمواطنين ويساندون  
 ادعاءات ناتجة عن صفقات غير قانونية أن يعتبروهم على صلة  
 بالسماسة الذين لم يكن لهم من هدف سوى اتهام الأتراك ،  
 وبطبيعة الحال كانوا يدركون أن أحسن وسيلة للحصول على  
 مساندة أى قنصل عام وللتوصل عن طريقه الى كسب ثقة

---

(٧٤) ٢٠/١٤٢ - رقم ٦ من بروس الى وزارة الخارجية بتاريخ  
 ١٨٥٧/٣/١٤ .  
 (٧٥) نفس الملف - رقم ٦ من بروس أيضا بتاريخ ١٨٥٧/١/٢٤ .

الحكومة التي يشلها هي أن يخلعوا على مواطنيهم نسبة مبالغا فيها من المزايا على حساب مصلحة التجارة والحكومة ذاتها (٧٦) • لهذا كله اعتبر سعيد السلك القنصلى عدوا طبيعيا له بحكم أن أعضائه لم يكن لهم من هم سوى ابتزازه بأى بأى وسيلة • ورغم ذلك فلم يكن بإمكانه مقاومة الضغط الأوروبي المتزايد على مصر الذى استشرى بعد الانهيار النهائى لنظام الاحتكار فى عهده • يضاف الى ذلك أن الأشخاص الذين نالوا حظوته كانوا يحتكرون المزايا لتنفيذ بعض متطلبات الصناعية وكانوا يبيعونها لشركات تقوم بتصنيعها وبالتالي كانوا يجورون على سكان مصر ويعمدون الى التضييق على سلطة الوالى حتى يكونوا هم بديلا لها بحيث يحلون محل الجنس التركى فى مصر (٧٧) • والنتيجة هي أن التجارة لم تكن تمارس على أساس سليم بحكم أن التجار كانوا يستثمرون رؤوس أموالهم فى سندات على خزانة الحكومة كانت تدر ربحا يتراوح بين ١٥ و ١٨٪ - وحتى لا تتأثر سمعة سعيد فانه كان يدفع قيمة السند حين يحل موعده وقد عمد كل الأشخاص الذين كانت لديهم أشياء ذات قيمة الى الاستغناء عنها حتى يتسنى لهم استثمار هذه السندات وان يكن هذا لم يؤثر على حجم

---

(٧٦) ١٢٢٢/٧٨ - وفقا ل ١٣ و ٢١ اللذان سبقت الاشار اليهما •

(٧٧) ٢٠/١٤٢ - رقم ٢٢ من بروس الى كلارندون بتاريخ ١٦/٨/١٨٥٧ •

## • الواردات والصادرات التي ازدادت (٧٨) •

وهكذا انفسح المجال لجعل مصر وحدة زراعية كولونيالية في نطاق النظام السياسي - الاقتصادي العالمي (٧٩) وذلك بعد انهيار خطط محمد علي وهو ما نستشف منه أن عدم حصول مصر على الاستقلال الذاتي كان يمثل إحدى العفبات الرئيسية التي اعترضت تطور البلاد الاقتصادي • فقد سبق أن رأينا أن رسوم الصادر والوارد كانت تحددها الاتفاقيات المعقودة بين الحكومة العثمانية والدول العظمى في حين كان لا يمكن فرض أى ضرائب مباشرة على الأجانب دون موافقة حكوماتهم وذلك نتيجة للامتيازات الأجنبية • وكان محمد علي قد نشط الزراعة والصناعة والتجارة ودافع عن استقلال مصر الذاتي وأفاد من الخبراء والفنيين الأوروبيين الذين شجعهم على الاستقرار في مصر ، في الوقت الذي عرقلت فيه احتكارات الحكومة نشاطات الأجانب في مصر بحيث أن التوسع في استيراد رأس المال الأجنبي لم يتم الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وذلك في أعقاب افتتاح قناة السويس وظهور الحاجة الملحة الى تمويل زراعة القطن وإعداده للتصدير •

وكان عباس الأول يقاوم كل أشكال النفوذ الأوروبي

(٧٨) ١١٢/١٤٢ من كلكهون الى رسل في ١١/١١/١٨٦١ •

(٧٩) عيسوى ، المرجع السابق ، ص ١٩ و ص ٢٤ •

ـ وإذا ما كان قد تميز بكرهه للأجانب الذين انزل عن  
مجتمعاتهم فالما كان يستهدف بذلك التصدي للتغلغل الغربى •  
أما عصر سعيد فانه يسجل مرحلة انتقال فى تاريخ مصر ـ  
فشخصيته وسياسته ، فى الوقت الذى شهد نمو الرأسمالية  
والثورة الصناعية فى أوروبا ، كاتنا مسئولتين عن الديون وتنفيذ  
مشروع قناة السويس الذى تحمات الحكومة المصرية معظم  
تكاليفه وعن الغزو السلمى الأوروبى لمصر • وقد ظهرت نتائج  
كل هذه التطورات خلال الجيل التالى لعصر سعيد واستشرى  
فى عصر اسماعيل ووصلت قمته حين خضعت البلاد للاحتلال  
البريطانى (٨٠) •

---

(٨٠) راجع حول هذه التطورات ودلائلها كتاب « فى اصول المسألة  
المصرية » تأليف صبحى وحيدة ( القاهرة ١٩٥٠ ) •





## الموضوع الثالث

---

### اوراق حكيان



لم يجر حتى الآن تقويم أوراق حكيان (١) التي كان  
هيوارث دن أول من أشار إليها في كتابه :

In troduction to the History of Education in Modern  
Egypt (London, 1939).

وتلقى هذه الأوراق أضواء جديدة على أوضاع مصر  
خلال الفترة المستدة بين عامي ١٨٤٠ و ١٨٦٣ والتي لم تحظ  
بالاهتمام الكافي من جانب المؤرخين ، كما تحتوى على سيرة  
حكيان الذاتية وانطباعاته الخاصة خلال الفترة التي قضاها في  
انجلترا ما بين عامي ١٨١٨ و ١٨٣٠ . وبالامكان مقارنة خواتمه  
بانطباعات رفاة الطهطاوى عن الفترة التي قضاها في فرنسا في  
الوقت الذي كان فيه حكيان يدرس في انجلترا . كما تحتوى  
أوراق حكيان على معلومات ورسوم هامة تتعلق بالتنقيبات  
الأثرية التي تمت تحت اشراف الجمعية الملكية البريطانية ،  
بأوضاع البلاد الاجتماعية التي لمسها خلال اشتراكه في هذه  
التنقيبات .

وقد ولد يوسف حكيان في استانبول (حوالى عام ١٨٠٧)  
في أسرة أرمنية كاثوليكية . ومنذ طفولته كان والده يعلم  
بأن يتلقى ابنه تعليمه في انجلترا ، وتحققت هذه الأمنية حين

---

(١) المتحف البريطانى ( المخطوطات الاضافية Add. MSS ) المخطوطات

توجه الى مصر وأصبح أحد تراجمة محمد علي . وحين قرر محمد علي في عام ١٨١٧ ارسال غدد كبير من أبنائه وموظفيه الى باريس لكي يتلقوا تعليمهم هناك ، انتهز والد حكيان الفرصة فطلب من محمد علي أن يرسل ابنه - الذي كان يقيم مع والدته في استانبول - الى انجلترا . ولبي محمد علي هذا الطلب - وحين وصل حكيان الى دوفر لم يكن يعرف من اللغات سوى التركية (٢) واعتزته الدهشة التي عادة ما يتعرض لها شباب الشرق حين يواجهون أوروبا للمرة الأولى . وفي انجلترا كان يشرف عليه صمويل بريجز الذي سبق له العمل بمصر حيث كان قنصلا عاما لبريطانيا - ولما كان حكيان كاثوليكيًا فقد تقرر إلحاقه بكلية ستونيهرست حيث ظل حتى عام ١٨٢٤ يدرس اللغة الانجليزية الى جانب المناهج السائدة في ذلك الوقت : اللغتان الفرنسية واللاتينية وغير ذلك ، وبعد أن أتم هذه الدراسات وصلته تعليمات ( في ١١ ديسمبر ١٨٢٤ ) من بوغوص بك يوسفیان ( يوسف ) وزير التجارة والشئون الخارجية في مصر تتضمن أمرا من محمد علي على تقضى بأن يكرس حكيان اهتمامه لدراسة آلات الغزل والنسيج من الناحيتين النظرية والتطبيقية الى جانب الاطلاع على كيفية بناء الطرق

---

(٢) المخطوطة رقم ٣٧٤٦٣ ، ص ٥٦٦ ، هذا رغم أن حكيان يذكر في سرته الذاتية أنه قبل أن يبارح استانبول كان ملما باللغتين الألمانية والفرنسية ( المخطوطة رقم ٣٧٤٤٨ ، ص ١٦٣ ) .

## والكبارى والقنوت والأرصفة النهرية (٣) •

وفي أول مايو ١٨٢٥ شرع في تنفيذ أوامر محمد على الخاصة بهذه الدراسات • ثم صدرت إليه الأوامر بزيارة مصانع القطن في جلاسجو بقصد الاطلاع على أساليب الغزل والنسيج في اسكتلنده وماثيستر (٤) وهناك طفق يجمع المعلومات المفيدة عن عمليات تصنيع القطن •

وفي خريف ١٨٣١ عاد حكيان الى مصر بعد أن نسي لغته الأصلية نسيانا تاما مما أدى الى تزويد محمد على له ب مترجم يساعد في مهامه التي واجه خلال اضطراره بها كثيرا من الصعوبات الناتجة عما اكتسبه من مفاهيم في انجلترا (٥) • ومهما كان الأمر فقد تم تعيينه مراقبا عاما لمصانع القطن في الحوض المرصود والخرنقش وبولاق والمبيضة ووضع تحت اشرافه عشرون من طلبة قصر العيني قام بتعليمهم مبادئ الهندسة والرياضيات والميكانيكا بمساعدة مترجم تقوم الحكومة بدفع راتبه • وفي عام ١٨٣٤ افتتحت مدرسة الهندسة في بولاق ثم ألحقت بها في عام ١٨٣٥ مدرسة المهندسين في القناطر الخيرية

(٣) المخطوطة رقم ٣٧٤٦٣ ، ص ٣١٧ - ٣١٩ •

(٤) المخطوطة رقم ٣٧٤٦٢ ، ص ٦٥٠ •

(٥) نفس المخطوطة ، ص ٥٠ •

التي كان بها ثلاثون طالبا (٦) كما ألحقت بها مدرسة المناجم بمصر القديمة (٧) وتم تعيين حككيان مديرا لمدرسة الهندسة الجديدة (٨) مما أتاح له الفرصة ليصبح عضوا بديوان التعليم الذي أنشئ في عام ١٨٣٦ (٩) . وفي أواخر الثلاثينات عين مديرا لمدرسة العمليات ، كما اشترك في انشاء « الجمعية المصرية » التي تأسست في عام ١٨٣٥ وكان من أهدافها تقديم خدمات للمسافرين الأجانب المارين بمصر وكانت لها مكتبة كانت تنعقد فيها اجتماعاتها . وقد تولى أكثر من مرة إدارة الجمعية التي اقتنت عددا كبيرا من الكتب وكانت تهتم بوجه خاص بالمطبوعات المتصلة بالشرق : تاريخه وجغرافيته ودياناته وعاداته ، بل انها كانت تطمح الى أن تستطيع بمرور الزمن أن تنشر كتبها متصل

---

(٦) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في مصر محمد على ( القاهرة ١٩٣٨ ) ص ٣٦٠ - ١ . راجع أيضا محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ( القاهرة ١٩٤٨ ) ص ٦٤٥ . ويذكر شكرى أن عدد طلبة المدرسة بلغ ٢٢٥ .

(٧) أحمد عزت عبد الكريم : نفس المرجع والصفحة .  
(٨) كتب محمد على الى مختار بك مدير ديوان المدارس - بصدد مناهج مدرسة الهندسة - ليلفت نظره الى عدم وجوب كون التعليم سطحيا والى انه لم يبحث حككيان ليصبح لوردا في أوروبا ، بل ليعود الى البلاد ويقوم بتعليم الطلبة النافعين للامة وللبلاد وأمره بالجدية والحساسية في تعليمهم حتى لا يغرب بالمعنى . ( أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٤٢٥ ) .

(٩) لفت حككيان نظر الباشا الى ضرورة تعليم البنات . ( محمد فؤاد شكرى ، المرجع السابق ، ص ٦٦٦ ) .

باهتماماتها الخاصة (١٠) . وفيما بين عامي ١٨٤٤ و ١٨٥٠ ترأس ثلاث بعثات كانت تقوم بالبحث عن الفحم في مختلف صحارى مصر وجبالها . وفي عام ١٨٤٩ عين رئيسا لمجلس الصحة ولو أن مرضا مزمنًا أرغمه على التقاعد في عام ١٨٥١ ، وإن يكن قد تلقى تعليمات شفهية من عباس الأول في مارس من نفس السنة لكي ينفذ باسم حكومته بعض الدراسات الخاصة في وادى النيل لصالح الجمعية الملكية البريطانية (١١) . ولكنه سعى الى الحصول على الحماية الانجليزية في مواجهة احتمال تعرضه للعنف ونزوات الطغيان التى لا تقدر العواقب خاصة وأن عددا من الأشخاص من كلا الجنسين اختفوا فجأة دون أن يعرف أحد مصيرهم ، وكان ذلك من وراء مخاوف حكيان خاصة وأنه كان على صلة عائلية بأرتين بك (١٢) الذى تعرض لسخط الوالى ( ١٣ ) . الا أن مخاوف حكيان لم تكن تستند الى أساس فواصل تنقياته مع مستر ليونارد هورنر عضو الجمعية الملكية البريطانية حتى أواخر عام ١٨٥٦ حين أتم تقاريره النهائية

---

(١٠) جمال الدين الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في مصر محمد على ( القاهرة ١٩٥١ ) ص ٦٤ - ٦٥ . وقد اضمحلت الجمعية فيما بعد ، وتوجد كتبها في دار الكتب بالقاهرة وذلك تنفيذًا لوصية آخر أعضائها : حكيان وثربرون وكيانى بك .

(١١) المخطوطة رقم ٣٧٤٦٣ ، ص ٢١٧ - ٢١٩ .

(١٢) كان حكيان متزوجا من أخت أرتين .

(١٣) المخطوطة رقم ٣٧٤٥٢ ، ص ٤٨ - من حكيان الى بريجز

بتاريخ ١٨٥١/٤/٢٩ .

وعيناته ورسوماته وعمليات المسح التي كان يقوم بها \* وبالإضافة الى ذلك فانه انشغل فيما بين عام ١٨٥٤ ونهاية عام ١٨٦١ بدراساته الخاصة التي ضمنها كتابا عاديا - ولما كان كثير من رجال العلم الذين احتك بهم وحادثهم أحيانا حول الموضوع قد شجعوه فانه أبدى رغبته في نشر الكتاب في إنجلترا وطلب من والى مصر سعيد باشا أن يساعده على مواجهة نفقات اعداد وطبع مائتي نسخة من هذا المؤلف (١٤) ووافق سعيد على ذلك ودفع خمسمائة جنيه (١٥) ، وتم نشر الكتاب في لندن في عام ١٨٦٣ في طبعة خاصة تحت العنوان التالي :

#### A Treatise on the Chronology of siriodic Monuments

ولم أستطع تحديد وضع حكيان الوظيفى حين تم نشر الكتاب خاصة وأنه أشار الى كونه « حكيان بك الاستانبولى الموظف السابق بالحكومة المصرية » \* أما أوراقه الخاصة ويوميياته ومراسلاته وملحوظاته ورسومه وغير ذلك ( ١٨٢٩ - ١٨٧٤ ) فقد قام ابنه تيتو حكيان أحد أقطاب الجالية الأرمنية فى الاسكندرية - باهدائها فيما بعد الى المتحف البريطانى (١٦) \*

(١٤) المخطوطة رقم ٣٧٤٦٣ ، ص ١٧٨ - ٩ ( مذكرة مؤرخة ٢١ يولية ١٨٦٢ .

(١٥) نفس المخطوطة ، ص ١٨٢ - ١٨٣ و ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(١٦) عمر طوسون : البعثات العلمية فى عهد محمد على ثم فى عهد عباس الاول وسعيد ( القاهرة ١٩٣٤ ) ص ١٠٧ .



تفتح أوراق حكيان في أربعة وعشرين مجلدا رتبت على  
الوجه التالي :

### المجلد الأول :

مفكرات ورسوم ( ٢٥ ابريل - ٨ مايو ١٨٢٩ ) - يوميات  
في إنجلترا ( يوليه ١٨٢٩ - يناير ١٨٣٠ ) - سيرة ذاتية كتبت  
خلال الرحلة الى مصر ( يوليه - سبتمبر ١٨٣٠ ) ويوميات  
الرحلة - يوميات في مصر ( ٢٩ أغسطس ١٨٤٠ - ٢٣ أغسطس  
١٨٤١ ) •

### المجلد الثاني :

• تكملة اليوميات مع ملحوظات ميدانية •

### المجلد الثالث والرابع :

• تكملة اليوميات •

### المجلد الخامس :

تكملة اليوميات بالاضافة الى سجلات حول التنقيبات  
الأركيولوجية والجيولوجية •

### المجلد السادس :

• تكملة اليوميات •

### المجلد السابع :

• ملحوظات ميدانية ورسومات •

### المجلد الثامن :

استعراض التنقيبات التى أجريت فيما بين عامى

• ١٨٥٢ و ١٨٥٤

### المجلد التاسع :

يوميات سجلت فى عام ١٨٦٢ •

### المجلد العاشر :

رسومات خاصة بالآثار التى جرى التنقيب عنها فى

عام ١٨٥٤ بالإضافة الى جداول بمنسوبات النيل وغير ذلك •

### المجلد الحادى عشر :

رسومات ( بعضها ملون ) ومشروعات الآثار والتنقيبات

المصرية والقوائم الخاصة بها •

المجلدات الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس

عشر والسادس عشر :

• مراسلات حككيان

### المجلد السابع عشر :

قوائم خاصة بالمناسيب وأعمال الحفر ومادة أخرى

جيولوجية ( ١٨٥١ - ١٩٥٤ ) •

### المجلد الثامن عشر :

مراسلات وأوراق رسمية متفرقة كتبت باللغتين التركية  
والعربية ( ١٨٣٦ - ١٨٦٨ ) \*

### المجلد التاسع عشر :

أوراق وتقارير رسمية متفرقة ذات صلة بشئون مصر  
( حوالى عام ١٨٣٨ - ١٨٤٠ ) وغير ذلك \*

### الجزاء العشرون والحادى والعشرون والثانى والعشرون :

مفكرات كتبت حوالى ١٨٦٨ - ١٨٧٣ \*

### الجزءان الثالث والعشرون والرابع والعشرون :

ثلاثة أبحاث أو مسودات كتاب عن التسلسل الزمنى للأرض  
أو « نظام التسلسل الزمنى المصرى والانجلى على ضوء  
العلاقة النظرية بين الذراع المصرى وبين التغيرات المادية  
فى المنسوب السطحى فى مصر » \*

ولكى تتمكن من تقويم المادة التى تتضمنها أوراق  
حككيان وأهميتها بالنسبة الى تاريخ مصر الحديث لابد لنا أن  
نعرض لشخصيته وأفكاره ونظراته ونشاطاته \* فهو مهندس تمكن  
من دخول « الحريم » وكان على صلة بالكثيرين فى مصر  
وأوروبا. \* كما أنه اضطلع بعدة مهام فى مختلف نواحي مصر  
وبالتالى فانه كان على صلة وثيقة بالحياة الاجتماعية فى الصحارى

والأرياف والمدن ، هذا بالإضافة الى اشتراكه في مداولات رسمية ، ولهذا فان المناصب الرسمية التي تولاها والتعليم الذي تلقاه قد أضفيا عليه ادراكا وثيقا لأحوال مصر والتقلبات الدولية في عصره . هذا الى أن معرفته بعدة لغات وتجاربه الخاصة قد عمقت أفكاره وأثرت ملحوظاته وجعلت منه رجلا ذا نظرة عالمية خالية من التعصب القومي . ورغم تخصصه في العلوم التطبيقية فقد كان يتذوق الآداب (١٧) وينحوي منحى انسانيًا . فقد أمضى في إنجلترا اثني عشر عاما شهد خلالها نمو الثورة الصناعية وظهور مبادئ التجارة الحرة والنزعات الليبرالية . وهكذا فانه كان يرى أن « التعليم وحرية التجارة من شأنهما أن يجعللا الناس يلبون دواعي العقل » ويحكمون أنفسهم بأنفسهم . وقد أفصح عن وجهة النظر هذه في مجلس رأسه عباس الأول وحضره نوبار وآخرون (١٨) . وكان يجهذ اقامة مؤسسات عامة يستطع فيها الفقير والغنى والعامة والنبلاء - بل وأبناء الملك - أن يتلقوا نفس التعليم ويتمتعوا بنفس المزايا التي يتمتع بها أبسط الناس . وقد ذهب الى وجوب أن تحظى

---

(١٧) ذكر في عام ١٨٤١ أن درويشا فارسيا كان يجيء كل مساء الى « مندرته » ويمضي معه ساعة او ساعتين يقرأ معه خلالها ويعلق ويتحدث بالفارسية وأنه بحث يطلب الشاهنامة وبعض كتب التاريخ المشهورة ( المخطوطة ٣٧٤٤٩ ، ص ٥ ) .

(١٨) المخطوطة رقم ٣٧٤٥٢ ، ص ١٩ .

هذه المؤسسات بعناية خاصة من جانب الحكومة وأن تعتمد ( من حيث الصيانة والتعليم والملبس ) على ضرائب يجرى تحصيلها من الشعب كله (١٩) . ولما كان متأثرا بأفكار جماعة الفزيوقراط فإنه كان يحلم بمالم واحد تربطه المواصلات والتجارة لمصلحة الانسانية جمعاء : « فالزراعة والصناعة هما أهم مستلزمات التجارة . فنحن ننقل منتجات جزء من الأرض الى جزء آخر تتحول فيه الى تلك الأشياء التي يجرى تصديرها وتفيدنا في تلبية حاجتنا الملحة أو في الوفاء بكمالياتنا . فمن الواجب أن تشكل الشعوب أسرة واحدة تتبادل المساعدة - فحين يرتبط كل منها بالآخر يمكن تحقيق الهدف الأكبر من الطبيعة بحيث يتسنى بالفعل اجراء الاصلاحات في كل بقاع الأرض » (٢٠) .

وكان حككيان أميل الى قيام نظام عالمي للتعليم بحيث تتوحد المبادئ الأخلاقية في شتى أنحاء العالم ولا يمكن السماح بأي نظام جديد دون اطلاق البشرية عليه . ولكن أحوال الشرق لم تكن تسمح في ذلك الوقت بتطبيق مثل هذه الأفكار التقدمية - فرغم اعجاب حككيان بحكم محمد على الذي اعتبره حكما مستبدا مستنيرا فإنه كان شديد الانتقاد للحكم

(١٩) المخطوطة رقم ٣٧٤٤٨ ، ص ٢٧ .

(٢٠) نفس المخطوطة ، ص ٥٧ .

الشرقي : « فالمغتصبون في الشرق نادرا ما يمتلكون أراضيهم بصفة وراثية بحكم تنشئة أبنائهم باهتمام أقل مما يحظى به حتى أبناء الأسر القديمة الذين يتمتعون بكرامة السيادة » (٢١) . ومن رأيه أن الدبلوماسية الشرقية تتضمن قدرا من التظاهر والخداع يفوق ما تتضمنه الدبلوماسية الأوروبية ، فلا ينبجح شيء نجاحا فعليا . بالنسبة الى معظم السفراء مثل اهانة الرجل وطرده بطريقة مهينة ، ولا يفوق ذلك سوى خداعه للتوصل الى الهدف . وتاريخ الشرق مليء بمثل هذه الأمثلة منذ عصر كورش . والصعوبة الوحيدة التي تعترض قيام الشخص بعمله على أحسن وجه دون صعوبات هي عدم اطمئنائه أحيانا الى اخلاص رئيسه وبالتالي لا يتسنى التغلب على الشكوك المتبادلة والاعتراض أمر مؤكد كما هو الحال في الوزارات الأوروبية » (٢٢) .

ومن الطبيعي أن يؤدي هذا الاتجاه الى تنديد حكيان بالطفيان الذي كان يمارسه شيوخ البلد على صغار المزارعين في القرى (٢٣) . بحيث كان الفلاحون يعمدون الى ترك الزراعة ويفضلون الدخول في خدمة البدو أو يختبئون في المدن حيث يتحولون الى خدم أو ما شابه ذلك من أعمال . كما أدى به هذا

(٢١) نفس المخطوطة ، ص ٥٨ .

(٢٢) المخطوطة رقم ٣٧٤٥٢ ، ص ٣٨ بتاريخ ٢٦ مارس ١٨٥١ .

(٢٣) المخطوطة رقم ٣٧٤٤٩ ، ص ٩١ - ٩٢ بتاريخ ١٨٤٣/١/٢٨ .

الى مقت الطغيان الذى تمثّل لديه فى عباس الأول بوجه خلاص بحيث خشى أن ينكل به مما دعاه الى طلب الحماية الانجليزية وهو ما سبق أن أشرنا اليه • وكان رجل الشارع يشارك حكّيان نظرتهم الى الحكم المطلق السائد فى مصر فى عصره - فحين سئل مكارى عن عباس أجاب بأنه كسول وقاس على الفقراء : « فهو يكلفهم بأعمال شاقة فى الصحارى ويكاد لا يدفع لهم من الأجر الا أقل القليل • كما صرح بأن كثيرا من مواطنيه يموتون يوميا أثناء عملهم فى قصور الباشا • وكان الرجل من التعقل بحيث ذهب الى أنه كان من واجب سموه أن ينفق الأموال فى تحسين أحوال مصر ( القاهرة ) بدلا من القيام بالبناء فى الصحراء ، واستطرد قائلا أنه لو ألغى الوالى السخرة لغضنا الطرف عن سيئاته العديدة - فمن الظلم والقسوة أن يحرم الآباء من مساعدة الابن الوحيد الذى كانوا على استعداد لاقتدائه بألف قرش حتى لا يفقدوا معاونهم فى الأعمال الزراعية » (٢٤) •

وهكذا نجد أن الملاحظات الاجتماعية الواردة فى أوراق حكّيان تلقى أضواء على أوضاع مصر السياسية والاجتماعية فى أيامه خاصة وأنه قد تنقل فى أنحاء عدة من البلاد واتصل بأنماط مختلفة من سكانها - فهو يصف أحوال البدو فى عهد عباس الأول على الوجه التالى : « ان عباس باشا يعتمد محاباتهم

---

(٢٤) المخطوط رقم ٣٧٤٥٢ ، ص ٢٦ بتاريخ ٦ مارس ١٨٥١ •

ويتغاضى عن أعمال التخريب التى يرتكبونها وعن انتهاهم  
 للفلاحين • فمن المعروف أن عامر ( أو أمير ) الطحاوى قد سرق  
 حصانا ممتازا كان يمتلكه شيخ غنى فى البحيرة وهو يمتطيته  
 دون أن يعتريه أى خوف • وقد اشتكى الشيخ للحاكم ولكن  
 دون جدوى • وإن الخلع التى تمنح باستمرار لشيوخ القبائل  
 المتوحشة إنما هى دليل على أن الوالى الحالى شديد الاهتمام  
 بكسب ولاء البدو وذو الطباع الخشنة الذين يفهمون تماما  
 السبب الكامن وراء دلالات الصداقة هذه ، ويزيدهم هذا  
 الضعف جرأة مما يجعلهم يعودون الى حرفتهم القديمة المستندة الى  
 التخريب • ومن ناحية أخرى فإن شيوخ الفلاحين سيعودون الى  
 عاداتهم الخاصة بقطع الطريق • وبماكان الشيخ أباطة  
 ( Abbaasa ) فى البحيرة أن يستدعى حوالى اثنى عشر ألف  
 رجل مسلح لمساعدته • وهؤلاء المشايخ هى نبلاء البلاد ، ومن  
 ثم فهم لا يبدون استعدادا لأن يزوجوا بناتهم للأتراك أو للسلطان  
 ذاته أو لأعرق بيوتات أوروبا • وهم يعتقدون أن لهم حق السرقة  
 داخل حدود أراضيهم ، ويقومون فى أحسن الأحوال بتحصيل  
 الامتيازات « (٢٥) • ولما كان حكيان قد لمس نوعا من التحول  
 الاجتماعى الخاص بالعلاقة بين المسلمين وغير المسلمين فقد  
 لاحظ أن عداة المسلمين للمسيحيين قد خفت حدته ولو أنه قد

---

(٢٥) المخطوطة رقم ٣٧٤٦٨ ، ص. ٤٠ - ٤٢ •



حل محله شعور آخر أكثر قوة وهو الكره والغيرة والخوف من الأوروبيين والجماعات الدينية التي يفترض أنها تتعاطف مع الأوروبيين (٢٦) .

وحيث يعرض حكيان للشخصيات نجده يصطنع التحليل الذي يأخذ في عين الاعتبار العوامل الاجتماعية والسيكلوجية، وهكذا يصف عباس الأول بأنه شاب له صفات كان من الممكن أن تقيده هو. البلاد فيما لو تلقى التعليم المناسب ولكن التعليم السيء الذي تلقاه واحاطته بأشخاص جهلة وأنانيين قد حولاه الى طاغية مجنون (٢٧) . وهو يعرض لبوغوص يوسفیان الذي قام بخدمة محمد علي لأكثر من ثلاثين عاما على الوجه التالي : (٢٨) « كان بوغوص بك رجلا ممتازا في حياته الخاصة ولم يبهز أحد في القدرة على انجاز المهام الرسمية وذلك اذا ما وضعنا في عين الاعتبار أنه كان مرءوسا لطاغية . ومن الممكن اعتباره من أعظم الوزراء الشرقيين لأنه ظل طيلة كل هذه السنوات يتمتع برضى طاغية وبلاط بتصف بالطفان . وكان سر سياسته هو ألا يعمل بوحى من رغبته الخاصة وبهذا كان لا يجازف بشيء ، فكان لا يدلى برأيه للبasha بصفة شخصية كما كان يعترض على آرائه علنا بأى شكل من الأشكال » .

(٢٦) المخطوطة رقم ٣٧٤٥٢ ، من ١٧ بتاريخ ٢ مارس ١٨٥١ .

(٢٧) نفس المخطوطة ، ص ٣٢٤ .

(٢٨) المخطوطة رقم ٣٧٤٤٩ ، ص ٢٣٥ بتاريخ رجب ١٢٥٩ هـ .

· يضاف الى كل ما سبق أن أوراق حكيان تحتوى على رسوم وخرائط ومعلومات خاصة بمساكن مختلف قطاعات سكان مصر وملابسهم وعاداتهم . وأخيرا فلا يجب علينا أن نغض الطرف عن كون حكيان أول موظف في الإدارة المصرية خلال القرن التاسع عشر يحتفظ بيوميائه ومراسلاته وأوراقه الخاصة . ولاشك أن تسطيره معظم خواتمه باللغة الانجليزية كان من نتائج اقامته في إنجلترا وتلقيه تعليمه بها (٢٩) .

---

(٢٩) يتضح من سيرة حكيان الدائمة التي كتبت في عام ١٨٢٩ خطبة ابراهيم ابو لند حين يذكر في كتابه :  
The Arab Rediscovery of Europe (Princeton, N.J., (1968), P. 69  
ان رفاعة الطهطاوى كان المبعوث الوحيد الى أوروبا في عصر محمد علي الذي سجل انطباعاته عن السنوات التي أمضاها في الخارج .

## الموضوع الرابع

---

مذكرات نوبار باشا



قليلة هي المذكرات الخاصة التي سطرها من لعبوا أدوارهم في التاريخ العربي الحديث ، اذ ان عادة كتابة المذكرات الخاصة بصفة منتظمة لم تتأصل في تقاليدنا وخصوصا أن قلة نادرة من ساستنا هم الذين يقدرّون قيمة مثل هذه المذكرات بالنسبة الى الأجيال الصاعدة ، وأن معظمهم لا يحتفظون بأوراقهم الرسمية ومكاتباتهم بالشكل الذي نلمسه لدى كثير من المسؤولين في الدول المتقدمة . ويجدر بنا أن تساءل عن أسباب هذا القصور : هل هي مرتبطة بنسب الحياة الشرقية الصاخب الذي قد لا يدع للمسئول فرصة لكي يخلو الى نفسه وبسطر خواطره بانتظام ؟ أم هي مرتبطة بعدم الشعور بالأمن واحتمال أن تؤدي المذكرات الخاصة الى متاعب غير منظورة اذا ما تبدلت موازين السلطة ؟ حقيقة أن بعض الشخصيات العامة قد نشروا « مذكراتهم » التي كتبوها من وحى الذاكرة بعد مرور وقت طويل على الأحداث التي عرضوا لها : الا أن مثل هذه « المذكرات » لا تعدو أن تكون ذكريات تلون الأحداث بألوان تبريرية على ضوء التطورات التي جرت وموقف المسئول منها .

هذا الى أن ايقاع الزمن قد يجعل الذاكرة تخون صاحبها فلا يكون دقيقا عن عرض ما يسجله - بالمذكرات بمعنى الكلمة يجب تسجيلها آنيا على شكل يوميات منتظمة قد تطول وقد تقصر كما تستلزم المحافظة على المراسلات الخاصة التي قد تكشف ما لا تكشفه الأوراق الرسمية \* وقد جرت عادة من خلفوا مذكرات خاصة من الساسة الغربيين على الاحتفاظ بيومياتهم وأوراقهم وتسجيل وصية بالمكان الذي تحفظ فيه وبالمدة اللازم مرورها حتى يتاح للآخرين الاطلاع عليها ، وهي عادة نصف قرن يكون قد مات خلالها من وردت أسماؤهم في هذه المذكرات ، وتكون سرية ما سجلوه قد انتفت أو كادت - ولو أن هذه المدة قد انكشفت شيئا فشيئا نتيجة لسرعة ايقاع الحياة وتطور وسائل الاعلام وقيام بعض الحكومات دوريا بنشر مقتبسات من أوراقها الرسمية بين وقت وآخر \* بل ان المذكرات الخاصة لبعض المسؤولين المعاصرين قد أضحت وسيلة من وسائل التكسب \*

ومذكرات نوبار باشا التي نعرض لها ليست مذكرات بمعنى الكلمة ، بل انها « ذكريات » سطرها في أواخر حياته خلال الفترة الممتدة ما بين نوفمبر ١٨٩٠ ومايو ١٨٩٤ (١) \* موجها أيها الى القارئ العام بل الى أسرته وحدها دون أن يفكر في

---

(١) توفى نوبار في باريس في ١٢ يناير ١٨٩٩ \*

نشرها • ولعل هذا راجع ضمينا الى محاولته تبرير مواقفه  
الأبنائه وأحفاده ، لأن الدور الذى لعبه فى السياسة المصرية كان  
مثار جدل وخصوصا أنه كان من أنصار التدخل الأجنبى فى مصر،  
وأنه تعاون الى حد كبير من سلطات الاحتلال البريطانى •  
وسأقصر تعليقى على « ذكريات » نوبار على ملحوظات أوردها  
فى مواضعها ثم أعقب عليها فى آخر الأمر ، مفضلا استهلال  
عرضنا بهذا نبذة عن حياته •

ولد نوبار نوباريان فى أزميز فى أسرة أرمنية فى ١ يناير ١٨٢٥ •  
وكان والده وكيلا لوالى مصر محمد على باشا فى أزميز أولا  
ثم فى باريس • وكان الأرمن فى ظل الحكم العثمانى يشكلون  
طائفة دينية ( مللت ) لها بطريركها الخاص المقيم فى استانبول ،  
والمنتمى الى أعيان الأرمن الذين سيطروا على « الطائفة » فى  
الوقت الذى كانوا يشغلون فيه وظائف عليا فى الحكومة  
وخصوصا بعد أن كسرت الدولة شوكة اليونانيين على أثر ثورة  
اليونان فى العشرينيات من القرن التاسع عشر • وكان التجار  
الأرمن فى طليعة من أفادوا من التطور الصناعى والتجارى الجديد  
الذى أصاب الامبراطورية العثمانية - وكان بعضهم يقوم باقراض  
النقود فى حين أن البعض الآخر كان من الحرفيين والتجار ،  
وكانت أغلبيتهم تقطن شرقى الأناضول فى حين أن أكثرهم تعليما  
وتقدما كانوا يقطنون المدن الكبرى وخصوصا استانبول

وأزمير ، كما كان كثير من أغنيائهم يبعثون أبناءهم الى أوروبا لتلقى التعليم العلماني الذي لم يكن متوفرا في الامبراطورية العثمانية حينذاك ، ويلعبوا دورهم في الوساطة التجارية والدبلوماسية نتيجة لاتقانهم بعض اللغات الأوروبية - ومن هؤلاء والد يوسف حكيان (٢) الذي كان مترجما لمحمد علي باشا وطلب منه أن يرسل ابنه ( يوسف ) لتلقى تعليمه في إنجلترا . وهكذا تلقى نوبار تعليمه الابتدائي في جنيف : ثم توجه الى سورين - بالقرب من تولوز - في فرنسا حيث تلقى تعليمه بمدرستها الثانوية خلال الفترة الممتدة ما بين عامي ١٨٣٦ و ١٨٤٠ . وفي هذا العام الأخير توفي والده في مرسيليا مما اضطره الى العودة الى أزمير حيث أمضى بعض الوقت قبل أن يتوجه الى مصر التي تولى فيها خاله بوغوص يوسفيان لفترة طويلة الاشراف على علاقات محمد علي الخارجية ونشاطاته التجارية . وبادر بوغوص الى تقديم ابن أخته الى الوالي في سراي رأس التين ، ثم أسكنه معه وعينه سكرتيرا خاصا له . وكان الانطباع الأول الذي تولد لدى نوبار بعد انتقاله من أوروبا الى الشرق هو احساسه بالنقلة من العصر الحديث الى العصور الوسطى الشرقية . ونستشف من مذكراته كم كان يرثي

---

(٢) راجع بحثي من أوراق حكيان في

P.M. Holt (ed), Social and Political change, in Modern Egypt, (Oxford University press. 1988).



ليحال خاله الذى كان باستسرار يرتدى ملابس « الرهايا »  
المسيحيين ويعيش فى عزلة تامة ولا يتوجه لمقابلة الباشا الا بعد  
أن يتلو صلواته الأخيرة بحكم أن الأحداث التى عاصرها والمناظر  
الدامية التى شاهدها قد أثرت كثيرا فى نفسيته - بل انه كاد  
يفقد حياته نتيجة لاحدى سوررات شك الباشا وغضبه + ومع  
كل هذا فان بوغوص كثيرا ما كان يصارح الباشا برأيه فى  
الوقت الذى كانت فيه نزوات الحكام وغضبهم تفضى الى الموت.

وفى عام ١٨٤٤ مات بوغوص فقيرا بل مثقلا بالديون ،  
وشهد جنازته كثير من سكان الاسكندرية المصريين والأجانب +  
وحين علم محمد على أن دفن بوغوص لم يتم باحتفال رسمى  
اجتاحته نوبة غضب وأمر باخراج جثة بوغوص من القبر واعادة  
اجراءات الدفن باحتفال يشهده كبار الموظفين الذين لم يشاءوا  
فى السابق أن تحاط جنازة ذمى باحتفالات رسمية مما آلم  
محمد على الذى كان يقدر خدمات بوغوص له طوال أكثر من  
ثلاثين عاما + حقيقة ان أوامر محمد على بهذا الصدد لم تنفذ  
بعذافيرها ، الا أن كبار الموظفين المسلمين شهدوا احتفالا  
رسميا على روح بوغوص فى كنيسة الأرمن وهو ما لم يسبق  
له مثيل +

وبعد وفاة بوغوص عمل نوبار مترجما لمحمد على الذى  
منحه ثقته لاتقانه للغتين الفرنسية والتركية والمامه باللغة

الانجليزية ولتقديره للخدمات التي قدمتها له أسرته ، ويذكر نوبار أنه قرأ رسالة غير واضحة الخط كان الدوق دى مارمون قد أرسلها لمحمد على ولم يستطع أحد قراءتها ، مما أدى الى ذبوع شهرته في حاشية الوالى بصفته متعلما يتقن كثيرا من اللغات . ونحن نعتقد أن نوبار يبالغ في وصف أهميته بالنسبة الى الوالى ، اذ إن اتساع الحركة التعليمية في عصر محمد على الذى يشهد إيفاد البعثات الى مختلف البلدان الأوروبية وخصوصا فرنسا ، ووفود عدد كبير من الأوروبيين الى مصر ، قد أمد حاشية الوالى بالكثيرين الذين يتقنون اللغات الأجنبية ويمكنهم ادارة مراسلات الباشا . ونحن لم نعثر في الوثائق البريطانية التى رجعنا اليها بصدد أواخر حكم محمد على والفترة القصيرة التى حكمها ابراهيم قبل وفاة والده على أية اشارة الى الدور الذى كان يلعبه نوبار لشاب في حاشية هذين الوالين . ولا يأتى نوبار في مذكراته بجديد حين يسجل أن محمد على قد أفسح المجال لتقدم مصر المادى على النمط الأوروبى باستقدامه الخبراء والفنيين الأوروبيين ( من أطباء ومهندسين وضباط بحريين ) وتكريمه اياهم بقصد تشجيع رعاياه على أن يكرمهم بدورهم ، خصوصا وأن المسلمين من رعايا الدولة العثمانية برغم تخلفهم ، كانوا لا يزالون يحتقرون الذميين ولا يسمونهم بتفوقهم عليهم أو مساواتهم بهم وتوليتهم مناصب قيادية في أجهزة الدولة ، وفي القوات المسلحة . ويشنى

نوبار في مذكراته على اتجاء محمد على الى مساواة المسلمين بالمسيحيين واستقدامه الخبراء من أوروبا وتخفيفه حدة الحواجز التي كانت لاتزال تفصل الشرق عن الغرب ، ويقر ما ذهب اليه معظم من تناولوا حكم محمد على من أنه مصلح عظيم حول مجرى تاريخ مصر الحديث وأقام فيها دولة راسخة الأركان بعد أن كان قد تسلسلها ولاية عثمانية فقيرة ومتخلفة، بحيث أصبح يشار اليه باعتباره مؤسس مصر الحديثة + حقيقة أن عهد محمد على كان شديد الوطأة على شعب مصر الذي ضحى بالكثير في سبيل إقامة الدولة الحديثة ، وامثل لتوجيهات الباشا وشدته الا أن عهود الانتقال - بما في ذلك حكم محمد على - قد لاتخلو من شدة مبعثها الرغبة في اختصار مدى التطور . وهكذا نجد نوبار يطلق على محمد على ( ص ٦٩ من المذكرات ) صفة « المتبربر العبقري - «Ce barbare de génie» .

ويرثي نوبار لازدياد شكوك محمد على وآوهامه في أواخر حياته وخصوصا بصدد ما تخيله من أن ابنه ابراهيم يتآمر للاستيلاء على الحكم وقد يلجأ الى الأساليب الشرقية فيدس له السم ليتخلص منه + وهذه الشكوك هي التي جعلت محمد على يستغنى عن خدمات نوبار ويعهد بها الى ابنه ربما ليراقب اتصالاته بالقناصل + وقد اصحط نوبار ابراهيم - الذي داهمته الأمراض - في أثناء الرحلات التي قام بها الى أوروبا وتوطدت علاقاتهما في تلك الأثناء بحيث بثه

ابراهيم طموحاته فيما لو تولى حكم مصر • وفي باريس شرح  
نوبار لابراهيم الآثار التي شاهدها بحيث أحرز اعجابه • وبعد  
أن زارا لندن عادا الى مصر •

وفي خلال رحلة العودة أبدى ابراهيم شدة خوفه من طبيعة  
استقبال والده له وخشيته هو الآخر من أن يتعرض للموت  
بالسم • ثم توجه نوبار الى آزميز لقضاء بعض الوقت فيها ،  
وحين عاد الى مصر ( ١٨٤٦ ) عين في منصب السكرتير المترجم  
الثاني لمحمد علي ، ثم رافق ابراهيم في زيارة ثانية الى أوروبا  
ازدادت خلالها وطأة المرض عليه مما زاد في شكوكه وعصبيته •  
أما محمد علي فقد كانت الفترات الأخيرة من حياته بمثابة مأساة  
حقيقية : فقد اختلط عقله وازدادت شكوكه في ابنه ابراهيم وباتت  
تمر به فترات من الجنون والخوف الحقيقيين ، كان يجهش خلالها  
بالبكاء ولا يهدأ الا اذا نقل الى مسكن ابنته نازلي ، وازاء ذلك  
فكر كبار الموظفين في اقامة مجلس للصاية يتولى حكم البلاد  
ولكن ابراهيم رفض هذا الاتجاه وتوجه الى استانبول لكي  
يضمن تنصيبه واليا • ولكنه لم ينعم بالحكم طويلا نتيجة لتدهور  
صحته • وكان نوبار يسرى عنه حتى وقت متأخر من الليل بأن  
يعيد الى مسامحه أخبار معاركه المظفرة • وخلال هذه الفترة  
كان عباس حلمي - حفيد محمد علي وولي العهد طبقا  
لما نصت عليه فرمانات نتيجة لكونه أكبر أفراد الأسرة

سنا - يخشى أن يقضى عليه عمه مما جعله يؤثر الابتعاد عن مصر الى الحجاز . واشتدت آلام المرض على ابراهيم ، وفي النهاية توفي بين ذراعى نوبار ( ١٨٤٨ ) ، ولم يأسف عليه أحد لشرسته وقسوته . وبعد وفاة ابراهيم بثلاثة شهور لحق به والده . ويخصص نوبار الفصل السادس من مذكراته لرصد أهم اصلاحات محمد على في مجالات الزراعة والرى وادخال محاصيل جديدة .

وفي وثيقة هامة أرسلها قنصل بريطانيا العام في مصر الى حكومته في ٥ أغسطس ١٨٤٩ (٣) نقرأ الفقرات التالية : « ان تعلق كل طبقات مصر باسم محمد على واحترامها له يشكل جنازة أفخم مما كان بإمكان حفيده أن يوفره (٤) . فالسكان المتقدمون في السن يتذكرون القوضى التي أنقذ هذه البلاد منها ويشكلمون عنها ، في حين يقارن السكان صغار السن حكمه المتميز بالحيوية بحكومة خلفه التي يجرفها الهوى والتردد . وجميع الطبقات ، سواء من الأتراك أو من العرب يجمعون بصراحة على أن رخاء مصر قد مات مع محمد على أو - حسب مصطلحاتهم الشرقية - أن أنفاس مصر قد بارحت جسمها :

F.O. 78/804, No. 48 Murry to Palmerston.

(٣)

(٤) ابدى عباس كثيرا من العقوق لجده - فلم يشترك في جنازته أو يصدر أمرا باغلاق الحوانيت والمصالح الحكومية ولم يدع السلك القنصلى بهذه المناسبة .

وفي الحق •• لا يمكننا أن ننكر أن محمد علي ، برغم كل أخطائه ، كان رجلا عظيما • فحين نحكم على شخصيته لا يمكننا إطلاقا أن ننسى أنه ، دون أن يتمتع بميزة من نسب أو من ثروة ، قد شق طريقه الى السلطة والشهرة بشجاعته الفذة وبدأ به وذكائه • فحين تولى الحكم كانت مصر مقطعة الأوصال نتيجة للنزاعات والشيوع ، كما كانت تتعرض للمسلب والنهب على أيدي عصابات جواله من المغامرين ، كما كانت ماليتها وتجاريتها مستنزفتين ، وفي كل محافظة كانت الحياة والأملاك تحت رحمة أصحاب السطوة • كما لا يجب علينا أن نشدد في انتقاده حين كان يضطر أحيانا - بهدف القضاء على عوامل الشر والفوضى المستشرية لدى شعب لا يعترف بقانون آخر سوى القوة - الى اللجوء الى اجراءات تتصف بالقسوة والشدة • اذ يقر الجميع بأن محمد علي ، لو حكمنا عليه بمقياس كونه تركيا ، لم يتصف بالقسوة : اذ ان العقوبات التي نفذها كانت - مع بعض الاستثناءات القليلة - لازمة لأمنه أو للمحافظة على السلام العام ، وأخشى أن أشارك الكثيرين في التصريح بأنه - مثل معظم من أطلق عليهم لقب « الأكبر » - كان مفرطا في حبه للشهرة والسلطة ، ولو أن مطامحه لم يلوئها الجشع • ورغم شدة غضبه الا أنه لم يكن يستمر طويلا •

« ومن النادر أن تصل الى مسامع المرء في آية ولاية من

ولايات الإمبراطورية العثمانية فقرة تشبه الفقرة التالية :  
 اذا ما سحح لى لله فائنى أتنازل بكل سرور عن عشر سنوات  
 من حياتى لأضيفها الى حياة باشانا العجوز ، ولكننى علمت أن  
 أكثر من شخص قد فاهوا بهذا التصريح خلال مرض محمد على .  
 وبالإضافة الى ذلك فمن واجبنا ، كأوروبيين ، أن ننصف ذكراه  
 بأن تذكر أن المسافر أو الرياضى أو عالم النبات والحيوان  
 الانجليزى كان يستطيع خلال عدة سنوات - فى الوقت الذى  
 لم يكن يستطيع المسيحى فيه أن يتجول فى حلب أو دمشق أو فى  
 أى مدينة خاضعة لحكم السلطان المباشر دون أن يتعرض للأذى  
 أو الاهانة - أن يتجول عزلا من السلاح فى وادى النيل  
 والصحارى المجاورة له ، وأن يضمن سلامة شخصه وأملاكه  
 بالصورة التى يتمتع بها فى حديقة هايدبارك فى وضع النهار » .



ويتعرض نوبار فى مذكراته لشخصية عباس الأول  
 وشكوكه وما رواه الأوروييون عن هواجسه واستبداده وتنحيته  
 للأشخاص الذين ارتبطوا بالعهد السابق ، ولكنه مع ذلك يشيد  
 ببنائه للسكة الحديدية التى وصلت الاسكندرية بالقاهرة وقبض  
 لها أن تمتد الى السويس فى عهد خلفه سعيد ، كما يشيد بأعادته  
 الأراضى الى الفلاحين الذين أرغموا على تركها . ورغم شك  
 عباس فى نوبار لشدة ارتباطه بعمه ابراهيم فإنه لم يتردد فى

الافادة من خدماته (٥) واصطحابه الى استانبول حين توجه اليها لتسلم فرمان توليته حسب العادة المقررة . ويذكر نوبار أنه ناقش في العاصمة العثمانية مشروع مد السكة الحديدية الذي عارضته السلطات التركية على اعتبار أنه سيفصل مصر عن الدولة العثمانية ويلحقها بانجلترا وأوروبا .

وقد اختلف عباس عن جده وعمه في سعيه الى هدم النفوذ الأوروبي في مصر وتوثيقه علاقات البلاد بالدولة العثمانية . . خصوصا وأنه كان يعتقد أنه اذا ما تحتم عليه الخضوع لأحد فليكن « للخليفة العثماني » لا الأوروبيين . كما كان يرى أن الصراع بين السلطان ووالى مصر لن يفيد سوى الأوروبيين ولن يؤدي الا الى الانهيار التام للامبراطورية العثمانية بما فيها مصر : خصوصا وأن مصر لم تكن في رأيه تتعدى كونها ولاية صغيرة لا امبراطورية كما كان عليه الحال في عهد جده ، وبالتالي كان يتجه الى أن تتمشى مؤسساتها ونظمها مع حجمها ودخلها - ومن ثم سعيه الى قطع دابر المؤامرات السياسية وطرد الطفيليين الذين رأى أنهم امتصوا دماء مصر في العهد السابق ، خصوصا وأنه كان يمتق اتجاه جده الى احاطة نفسه

---

(٥) ابنه عباس ( يونيو ١٨٥٠ ) مديرا للادارة الصحية خلفا ليوستف حككيان الذى لفاه الى الصعيد في نفس الوقت الذى واصل فيه نوبار شغل منصب المترجم الثانى للوالى .



بعض الأوروبيين الذين كانوا يقيمون في مصر أو يقدون إليها باعتبارهم حلقة الوصل بينها وبين العالم الخارجى . وهكذا اتجه عباس الى العزلة والى احاطة نفسه بأتباعه المخلصين وحدهم ويرر ذلك بقوله : « لست تاجرا ولن يفيدنى هؤلاء السادة - فاذا ما شغلوا بتجارتهم فلن أطلب منهم ما يتعدى ذلك ، واذا ما اعتدى عليهم أحد فسأوفر لهم حمايتى ، وسأمنحهم مساندة خاصة اذا ما احتاجوا إليها . . ولا أود - كما كان الحال أيام جدى . . - أن يكون قصرى بمثابة مقهى يقد إليه الناس الذين ليس لديهم ما يشغلهم لكى يتجاذبوا أطراف الحديث » . أما علاقاته بالسلك القنصلى فلم تشبها شائبة ولكنها لم تصل الى مستوى العلاقة الوثيقة التى بلغت أيام محمد على ، ومن ثم البرود الذى اتصف به استقباله خصوصا وأن معظم رجال السلك القنصلى كانوا من التجار . وفى عهده أنشئت ادارة للجوازات فى الاسكندرية لأن الاضطرابات التى عمت الجانب الأوروبى من البحر المتوسط شجعت عددا من الأشرار ومن لا مستقر لهم على أن يقدوا الى مصر للاقامة فيها (١) . ولم تكن علاقة عباس بكبار الموظفين على ما يرام ، كما أبعد عن الخدمة من كان يعتبرهم أنصارا لفرنسا التى

---

— F.D. 708/804, no. 27 dated 6 May, 1949 from (١)  
Murray to Palmerston.

ساندت جده ، بل لقد ألقى المؤسسات التي كان يديرها فرنسيون وأجرى تعديلات كثيرة على إدارات الدولة دون أن يكون لديه من الخبرة السياسية أو التعقل ما يجعله يفرق بين الغث والسمين (٧) . ويسجل نوبار أنه طرد من القاهرة والاسكندرية كثيرا من السحرة وضاربي الودع ومن على شاكلتهم ونفاهم الى الصعيد أو الى السودان .

وفي رأى نوبار كان عباس تجسيدا « للسيد العظيم *Le grand Seigneur* » أو للأمير الشرقي الحقيقي : فقد كان يعيش منعزلا متفردا ويصدر أوامره التي كان يتوقع أن تكون موضعاً للطاعة العمياء . وقد صرح لنوبار بما يلي : « بإمكانى أن أعمل كل شيء ويشبهنى الجميع فى أنهم يمكنهم عمل كل شيء » . « أنا وزير ابن وزير وحفيد وزير . ولست تاجرا مثل جدى أو عمى ، وإذا ما كان على أن أحمى التجار فلست ملزما بتقليدهم » . ويصف نوبار عباسا بالكرم فى حدود المعقول ، ويضرب مثالا على ذلك أنه دفع ديونه ( نوبار ) ويعلل ذلك بأنه لم يكن يجب أن يكون أحد حاشيته فى حاجة الى المال ، لأنه فى هذه الحالة يكون تابعا لدائنه لا لعباس . . ورغم ما يؤكده نوبار وغيره ممن تعرضوا لحكم عباس من أنه

*Ibid*, no. 59, dated 4 December, 1949.

كان غريب الأطوار (٨) ومشارا لرعب الشعب ، الا أنه يقر بأن المصريين لم يعانون في عهده من الضغوط المالية والاقتصادية التي أثقلت كاهلهم في عهد جده . وقد أغلق عباس المصانع والمدارس المرتبطة بالجيش ، وذلك لادراكه أن شراء المصنوعات من أوروبا مباشرة أرخص ثمنا وأحسن نوعية . كما ألغى احتكارات الدولة (٩) التي فرضها جده بحيث توفرت للفلاح حرية بيع محاصيله للأجانب نقدا ولم يعد مضطرا لدفع الضرائب عينا بعد أن توفرت له النقود .

ويندد نوبار في مذكراته في أكثر من موضع بالسخرية ذلك النظام الذي عرفته مصر منذ أقدم العصور للقيام بالخدمات العامة وخصوصا ما يتعلق منها بمقاومة فيضان النيل بتعليق الجسور وتقوية شواطئ النهر واقامة السدود والقناطر والقنوات ، ثم امتد ليشمل كل الأعمال العامة التي تضطلع بها الدولة والحاكم . وكان الفلاح المصري لا يتقاضى أجرا عن القيام بهذه الأعمال ، ولا يصرف له غذاء أو يكرس اهتمام

---

(٨) يقال أنه كان سحرة في قصره عند مستانس كان يخيف به القناصل الأجانب .

(٩) لكي تضعف بريطانيا الأساس الاقتصادي الذي ارتكز عليه حكم محمد علي بقدت اتفاقية تجارية مع الدولة العثمانية ( ١٨٣٨ ) نصت على حرية التجارة داخل املاكها . ويخطئه نوبار حين يذهب ( ص ٨٢ - ٨٣ ) الى أن هذه المعاهدة قد وقعت في عام ١٨٣٦ .

بأحواله الصحية ، بل انه كان أحيانا عرضة للجلد بالكرباج • ويربط نوبار ( ص ٨٣ - ٨٤ ) بين السخرة والكرباج وبين الاستبداد الذى عرفته مصر منذ أقدم العصور ويفسر ذلك بالنظام الزراعى الذى جعل حاكم البلاد يركز السلطة فى يديه لكى يتسنى له الاشراف على توزيع مياه النيل ومقاومة الفيضان واقامة نظام رى الحياض المشهور • وبطبيعة الحال لم يعد هذا النظام يتمشى مع المبادئ الانسانية التى عرفها القرن التاسع عشر - فقد ندد به الأحرار من الانجليز بوجه خاص وجعلوا منه منطلقا لمناسبة نظام محمد على العداء ، كما أنه كان مناقضا لروح الاصلاحات التى شهدتها الدولة العثمانية فيما عرف باسم « التنظيمات الخيرية » التى كانت تهدف فيما تهدف الى تحديث الدولة وكسب مساندة الدول العظمى - وبريطانيا بوجه خاص - لها فى مواجهة أعدائها •

وقد استولى عباس على الاقطاعيات التى وزعها محمد على على أسرته وحاشيته التى كانت تتركز على الأتراك والشراكسة ، مما جعل كل هؤلاء يهاجرون الى استانبول حيث شكلوا حزبا مناوئا لعباس - فطالبه أبناء وأحفاد محمد على بأن يرد اليهم ميراثهم من أرض ومجوهرات - ومن ذلك اقطاعيات محمد على التى بلغت ٤٠٠٠٠٠ فدان ، كما طالبوه بأن يرد اليهم تفقات اصلاح هذه الأراضى بما فى ذلك المباني التى أقيمت عليها

والأشجار التي غرست فيها • وأصر عباس على موقفه وذهب الى أن الأموال التي أنفقها محمد على وأنفقوها هم كانت في الأصل ملكا للحكومة التي يحق لها أن تستردها •

وواصل نوبار العسل مع عباس باعتباره سكرتيرا مترجما ثم مديرا لإدارة التفتيش الصحى • ورغم أن الوالى لم يعينه وزيرا للخارجية - إذ أن مصر ، باعتبارها ولاية عثمانية ، لم يكن يحق لها أن تكون لها سياسة خارجية مستقلة في حين كان يمثلها في الخارج سفراء الدولة العثمانية - إلا أنه كان يضطلع بأعمال تتصل بعلاقات الولاية المحدودة بالخارج ، خصوصا وأن الدولة العثمانية حاولت أن تطبق في مصر الإصلاحات المرتبطة بالتنظيمات الخيرية التي تضمنت وعد السلطان بإقامة العدالة في أملاكه وتحديد كمية الضرائب وتنظيم تحصيلها وتأمين المرء على حياته وماله وعرضه ، كما تضمنت تحديد مدة الخدمة العسكرية • وكان عباس يرى أن تحويل ملفات حالات الأعدام الى استانبول للحكم فيها من شأنه أن يهدد الأمن والنظام في البلاد على اعتبار أن سرعة تنفيذ الأحكام من شأنها أن تردع المذنبين • لهذا قاوم تطبيق التنظيمات في مصر إلا إذا عدلت بحيث تتماشى مع عادات البلاد وتقاليدها وما جرى به عرف الولاية فيها • وأرسل نوبار الى استانبول للتفاوض مع

الباب العالي بشأن هذه المسألة (١٠) . وفي العاصمة العثمانية اتصل نوبار بالسفير البريطاني الذي كان يتمتع بنفوذ قوى في الدوائر العثمانية مبعثه قوة شخصيته ودفاع بلاده عن الدولة في وجه طموحات محمد علي ومساندتها لبرنامج الإصلاحات التي تضمنتها التنظيمات الخيرية ، وذلك كي تستطيع الدولة أن تقف على قدميها وتقاوم الضغط الروسي وتوفر حاجزا قويا في وجه التوسع الروسي صوب الهند والمياه الدفيئة (١١) . ونفذ نوبار في الآستانة مهمته على خير وجه وحصل على مساندة السفير البريطاني لموقف عباس بشأن مسألة ( القصاص ) التي سويت لصالحه . ويبدو أن نوبار تناقش في استانبول مع السفير البريطاني حول مشروع الخط الحديدي بين الاسكندرية والسويس ، وهو المشروع الذي كان قنصل بريطانيا العام في مصر ( مرى ) قد عرضه على والي في بداية حكمه تنفيذا

---

(١٠) قدم النجار في الاسكندرية والقاهرة ومواطنون آخرون من ذوي الحيشة مريضة الى القنصل البريطاني العام سحلوا فيها احتجاجهم على قرار الباب العالي الخاص بحرمات والي من حق تنفيذ حكم الاعدام في المجرمين الذين ادينوا قانونا بحكم عليهم بالموت . وقد طالبت العريضة بإبقاء هذا الحق في يد الوالي . محافظة على الامن وناشدوا القنصل العام أن يلتزم من السفير البريطاني في استانبول - س - سرافورد كالج - ان يسمي الى تأجيل اتخاذ قرار بصدد هذه المسألة حتى بحثها الحكومة البريطانية .

— F.O. 78/916, Encl. copy in no. 4 dated 24 January, 1852, from Murray to Granville (١١)

لتعليمات حكومته (١٢) \* وحين عاد نوبار الى مصر نصح عباس بتنفيذ المشروع وبين له أنه سيفيد التجارة والمواصلات الأوروبية ويساعد على تطوير الادارة المصرية بحيث تحصل البلاد على عطف الراى العام الأوروبى مما يساعدها فى نزاعاتها مع الباب العالى \* واقتنع عباس بوجهة نظر نوبار وتفاوض فى هذا الشأن مع قنصل بريطانيا العام ، وأرسل نوبار الى لندن للتفاوض مع المسئولين البريطانيين \* ونجحت المفاوضات وبدىء فى مد الخط الحديدى الذى ربط الاسكندرية بالقاهرة فى عهد عباس ثم أكمل فى عهد خلفه سعيد \*

ورغم ما تواتر عن كره عباس للأرمن فى أواخر عهده (١٣) ، فإنه عهد الى نوبار وأخيه استيفان بتمثيله له فى برلين وفينا ، ولم يمر وقت طويل على رحيل نوبار الى فينا حتى وصله خبر موت عباس \* وفى الفصل العاشر من مذكراته نجده يسرد مختلف الروايات التى جرى تداولها بهذا الخصوص - هذا برغم أن الطبيين الايطاليين اللذين فحصا جثته أرجعا وفاته الى نوبة من

---

.. F.O. 78/804, No. 3 from Murray to Palmerston, (١٢)  
dated 16 Jan., 1849.

— F.O. 78/919, no. 30 Green to Clarendon, dated (١٣)  
19 Nov., 1858.

الصراع (١٤) \* وعلى أى حال فقد أدت وفاة عباس الى الغاء تمثيل مصر فى برلين وفيينا واعفاء نوبار من الخدمة باعتباره أحد رجال عباس \* ولعل هذا هو السبب الذى جعله يتصدى للدفاع عن عباس وسياسته ، فيصف عصره بأنه يسجل مرحلة من مراحل تطور مصر ، ويفند وجهات نظر من هاجموه ، مسجلا أن عصره الذى لم يعرف عنه الكثير قد تعرض للنقد الشديد وأنه كان موضعاً للتجنى والأحكام الخاطئة - فقد سادته الأمن بالشكل الذى لم تعرفه مصر حتى ذلك الوقت ، كما يمتدح تخفيضه لنفقات الدولة وشدة حرصه على مصالح البلاد \* ويمكننا أن نتبين حقيقة حكم عباس بمقارنة ما سجله نوبار بما كتبه قنصل بريطانيا على أثر وفاة عباس (١٥) - فقد أكد حمق سياسته وتكديسه الأموال فى خزائنه مما تسبب فى افلاس الدولة ، وسجل أنه كان يبدى ميلا طفوليا الى البناء والمفروشات مما جعله ينفق كثيرا من المال ، فى الوقت الذى لم يكثرث فيه بالادارة العامة وبمرتبات الموظفين ، بل انه وصل الى حد

---

— F.O. 78/1086, no. 35, Bruce to Clarendon, (١٤)  
dated 17 July, 1854.

ويؤكد بروس ( فى رسالته رقم ٣٩ المؤرخة ١٣ أغسطس ١٨٥٤ ) أن عباسا لم يمت مقتولا وأن أطباء كانوا يتوقعون اما ان تداخمه نوبة الصرع فى أى وقت أو يصاب بالجنون ، واستدلوا على ذلك بقسوته الشديدة فى أواخر مهده وانفلات اعصابه .

(١٥) الرسالة رقم ٣٩ السابقة .



الامتناع عن دفع مرتبات الموظفين والجيش والخدمات العامة ويعزوا اتجاهاته الى كونه الوحيد في أسرته محمد على الذى لم يتلق تعليما أوروبيا أو يلم بلغة أوروبية أو يتوجه الى أوروبا ولو مرة واحدة بحيث لم تكن لديه أية فكرة عن حضارتها • ويضيف الى ذلك أن عباس قد تربى على الطريقة التركية حيث عاش الخدم الذين لقنوه كيف يكره أوروبا •

ورغم انحياز نوبار الى عباس حين قيم عهده ، فانه كان على العكس من ذلك شديد النقد لخلفه سعيد الذى تعرضت مصر في عهده للغزو والانتهاك على أيدي العناصر الأوروبية التى تدفقت عليها وكل همها الكسب السريع بأى ثمن • ويشير نوبار الى القوضى التى أحدثتها هذه العناصر في بلاط الوالى وفي الادارات الحكومية وفي أوضاع المصريين بوجه عام ، ويعزوها الى شخصية الوالى الذى يكرر نوبار في أكثر من مناسبة أنه كان يفتقر الى احترام الذات وأنه كان يعشق المظاهر ويجب أن يكون موضعاً للاطراء - فقد اهتم بالجيش وبالاستعراضات العسكرية وأنفق الأموال بسخاء على شراء ملابس فاخرة للضباط والجنود واقامة المعسكرات التى كانت بعض خيامها من الحرير الخالص •

وكان سعيد قد استدعى نوبار من فينا وعينه رئيسا لمحكمة الاستئناف ثم مديرا لادارة الترانزيت والسكة الحديدية • والى

هنا يكون نوبار قد اكتسب ثقة أربعة من الولاة \* وعلق  
القنصل البريطاني على تعيين نوبار في منصبه الجديد على  
الوجه التالى (١٦) : « اتنى أعتبر اختيار نوبار بك بوجه عام  
أمرا مرضيا جدا — فلما كان قد ولد رعية للباب العالى فانه  
يجمع بين ذكاء الأوروبي وتعليمه وبين المعرفة التامة بالأتراك  
ولفهمهم \* ولما كانوا يعتبرونه واحدا منهم ، فان ذلك يوفر  
تغلبا على صعوبه كبيرة ، ولولا ذلك لكان هذا التعيين مصدرا  
لغيره الأتراك الذين اعتقدوا أنهم أرغموا على وضع أجنبى  
على رأس واحدة من أهم ادارات الحكومة خصوصا وأنهم  
يحظون بقدر كبير من الرعاية \* ولدى معرفة كافية بالصعوبات  
التى تواجه مدير الترازيت والسكة الحديدية فى مصر بحيث أشعر  
بشئ من القلق بشأن نجاح المدير الجديد \* وسأسعى باستمرار  
الى أن أبذل له كل مساندتى الرسمية — اذ من سوء الحظ  
أله من المؤكد أن الموظفين الأتراك لا يمكنهم أن يقفوا على  
أقدامهم فى وجه المؤامرات والضغوط المستمرة التى تواجههم  
بدون الميزة التى يوفرها التدخل الأجنبى — ولدينا مصلحة حيوية  
فى أن تكون ادارة المواصلات الحديدية مرضية بحيث يكون  
تدخلنا أمرا مشروعا » \*

---

— F.O. 78/1314, no. 92, Green to Clarendon, (١٦)  
dated 22 dec., 1857.

وَأول ما لاحظته نوبار لدى عودته الى مصر ازدياد أعداد الأوروبيين وديب الحيوية في أبناء البلاد الذين زال عنهم الخوف الذي خيم عليهم في عهد الوالى السابق ، بحيث لم يعودوا يخشون التعبير عن آرائهم بحرية ، وبحيث مالوا الى الخروج للنزهة • كما أن نشوب حرب القرم التى استمرت ما بين عامى ١٨٥٣ ، ١٨٥٦ قد تسبب في انتعاش البلاد بسبب ارتفاع أسعار الحبوب الى ثلاثة أضعاف ما كانت عليه بحيث لم يعد الحكام يصطنعون القسوة في تحصيل الضرائب وبحيث ازداد ثراء الملاك • وقد شجعت الحرب التجار اليونانيين والمشاركة على التغلغل في الصعيد خصوصا وأن سعيد قد أكد حرية التجارة التى شهدها عصر عباس كما أكد حرية تملك الأراضى التى بدأت أيضا في عهد سلفه • ولكنه كان يضيق بالشئون الادارية ويحيط نفسه بأشخاص عديمى القيسة والشخصية خصوصا وأنه كان يعتبر نفسه رجلا عسكرية لا يحترم الا المسائل المتصلة بالشئون الحربية وحدها ، مما جعل المديرين وحكام الأقاليم يحذون حذوه • كما كان يرحب بشاء المقيمين الأوروبيين في البلاد عليه ووصفهم له بأنه لبرالى ذو أفكار عالية • ورغم ذلك فإن نوبار يسجل أن أمور مصر سارت على ما يرام بدون تدخل السلطة المركزية وأن هذا يثبت عدم صحة الفكرة الذاهبة الى ضرورة حكمها بالشدة وبالسخرة والكرماج •

الا أن ازدياد تدفق العناصر الأوروبية على البلاد قد  
أثار مشاكل لا حصر لها كانت ناتجة عن الامتيازات الأجنبية  
القديمة التي منحتها الدولة العثمانية للأجانب المقيمين في أراضيها  
منذ عصر السلطان سليمان القانوني ( في القرن السادس عشر ) .  
فطبقا لهذه الامتيازات كان الأجنبي لا يحاكم الا في القنصلية  
التابع لها ولا تنطبق عليه القوانين المحلية المستقاة من الشريعة  
الاسلامية ، كما كان مسكنه لا يفتش ولا يتعرض للقبض عليه  
الا باذن من قنصليته ، مما ساعد على التهريب والاجرام والتستر  
على المجرمين المحليين والضغط على الحكومة المصرية وابتزازها  
بالتهديد والوعيد والحصول على تعويضات وهمية على أيدي  
القناصل الذين كان معظمهم من التجار عديمي الذمة والشرف .  
ويصف قنصل بريطانيا العام هؤلاء القناصل على الوجه  
التالي : (١٧) « ان القناصل العموميين الذين يقبضون مرتبات  
هم التابعون لفرنسا والنمسا وبروسيا واليونان وأسبانيا  
والولايات المتحدة وسردينيا وإنجلترا وروسيا . أما القناصل  
العموميون الذين لا يقبضون مرتبات ويعملون بالتجارة فهم  
قناصل هولندا وبلجيكا وتسكاينا ونابولي . ومعظم هؤلاء  
السادة ليسوا حتى من مواطني البلدان التي يمثلونها ( ومن

— F.O. 78/1222, no. 13, from Bruce to  
Clarendon, dated 4 April, 1856.

ذلك أن قنصل نابولي العام مشرقى عادى أمكنه أن يحصل ثروة ( فى حين أن بعضهم قد اشتروا تعيينهم مقابل دفع مبلغ من المال - والكل قد سعوا الى الحصول على مناصبهم لا من أجل مراكزها ، بل من أجل الفرص التى توفرها لاستغلال المشروعات الحكومية • وهم لم يتلقوا أى تعليم يؤهلهم للمهام القانونية التى يطلب منهم الاضطلاع بها ، ومن الطبيعى أن يسعوا الى اقامة علاقات طيبة بالحكومة المحلية وأن يستغلوا لمصلحتهم الخاصة ما يوفره لهم منصب القنصل العام من سهولة الاتصال بالوالى » •

وتتضمن مذكرات نوبار نماذج عدة للتعويضات الوهمية المبالغ فيها التى أرغمت الحكومة المصرية على دفعها نتيجة للارهاب الذى فرضته بعض العناصر الأوروبية ، متحالفة مع القناصل ، على سعيد الذى اتصف بالتجبر مع المصريين والضعف أمام الأجانب • وهكذا كانت الامتيازات الأجنبية فى عهده بمثابة رأس الحربة لذلك الغزو الخاطف لمصر بحكم أن الأجانب عمدوا الى اغراء الحكومة المصرية ، بصفتها المنتج الأكبر والوحيد فى مجتمع لم تعبد أرضه بعد للاستغلال الصناعى والتجارى • وبمرور الزمن لم يعد الأمر خاصا بقناصل يتكسبون أو يتحكمون ، بل انه ارتبط بأوضاع اقتصادية

واجتماعية تتسرب من الغرب الى المجتمع الزراعى المصرى  
وتتخذ فيه مكانها وتفرض عليه قوانينها •

ومن نتائج ضعف سعيد مع الأجانب منحه امتياز قناة  
السويس لصديق صباه فردنان دلسبس دون أن يحتاط ضد  
ما تضمنه الامتياز من امتيازات على البلاد وحكومتها • فقد تعهد  
سعد لدلسبس بالتنازل لشركة قناة السويس عن جميع الأراضي  
اللازمة لحفر القناة الملحة وبأن يحفر قناة للمياه العذبة من النيل  
الى منطقة القناة وأن تتنازل الحكومة كذلك عن الأراضي  
اللازمة لها ، وهى مساحات شاسعة أخذت دون مقابل • كما  
تعهد بوضع العدد الكافى من الفلاحين تحت تصرف الشركة  
لتشغلهم بمعرفتها وتحت ادارتها فى أى نوع تريده من الأعمال  
والإشغال العامة (١٨) ، وأعفيت واردات الشركة من دفع الرسوم  
الجمركية المستحقة عليها • وأثبت نوبار أنه ضد كل عمليات  
الابتزاز هذه ، فقد تنبه الى مساوئ التدخل الأجنبى وحاول  
أن يتصدى له • فبعد تعيينه مديرا للسكة الحديدية حاول  
أن يصلح أوضاعها المضطربة وتصدى للاضراب الذى قام  
به الميكانيكيون الأوروبيون واستبدل بهم ميكانيكيين مصريين ،

---

(١٨) كانت الحكومة تسوق للشركة للعمل فى كل شهر حوالى عشرين ألف  
عامل ، وقدّر أن مثل هذا العدد من العمال كانوا يساقون فى نفس الوقت  
فى الطريق من بلادهم الى منطقة العمل ومثلهم يجمعون فى بلادهم تأهباً للرحيل ،  
فيكون المجموع حوالى ٦٠ ألف عامل كل شهر •

وذلك رغم احتجاجات القناصل ومخاوف سعيد كما خُصص  
الادارة من التدخل الأجنبي وقلل من اللجوء الى السخرة في  
أعمالها • وحين اضطر سعيد الى الاقتراض نتيجة لاسرافه حاول  
بنك الكونتوار دسكوات Comptoir d'Escompte الفرنسى  
أن يكون ضمان القرض على شكل اشراف على مالية مصر •  
الا أن نوبار رفض تنفيذ طلب سعيد الخاص بكتابة خطاب  
بهذا الصدد • وحين ازدادت اجراءات الابتزاز من جانب  
الأوروبيين لأموال مصر والمصريين على شكل تعويضات ،  
اقترح تشكيل لجنة تحقيق أوروبية لحسم الخلاف ، وتم  
تشكيل اللجنة بالفعل ولو أنها لم تنجز الكثير بسبب تحيز  
أعضائها •

وفي عام ١٨٦٢ اصطحبه سعيد الى باريس ولندن • وفي  
العاصمة البريطانية تباحث مع لورد بالمستون حول قناة  
السويس ، كما ناقش فكرة انشاء محاكم مختلطة (١٩) تقضى  
على فوضى القضاء القنصلى ويشترك فيها قضاة مصريون

---

(١٩) حاول قنصل بريطانيا العام أن تقنع عباس الاول بانشاء  
محاكم مختلطة •

F.O. 78/804, private letter from Murray to Palmerston, dated  
6 April, 1849.

ويحتوى ملف وزارة الخارجية البريطانية ٨٤٠/٧٨ على كثير من الوثائق  
التي يشتمل منها سمع، بريطانيا ، في كل من القاهرة وإستانبول ، الى اقامة  
مثل هذا النوع من المحاكم •

وأجاب في حسم القضايا المدنية والجنائية الخاصة بالأجانب . وكان نوبار مقتنعا بأن استقلال مصر لم يكن محضورا في هذا الامتياز أو ذاك الممكن الحصول عليه من الحكومة العثمانية ، بل في زيادة قوة مصر بتحسين ادارتها وهو أمر لا يتسنى تحقيقه ما دام الى جانب الحكومة المصرية سبع عشرة قنصلية ينتمى اليها ١٥٠٠٠٠٠ أوروبى وتتمتع كل منها بسلطة تضاهى سلطة حاكم مصر ماديا وأديا وتعرقلها في كثير من الأمور . وكان خير علاج في رأيه هو جمع المحاكم والسلطات القضائية العديدة في مكان واحد يخضع له الجميع على السواء دون تمييز أو استثناء . ومن ناحية أخرى كان نوبار مقتنعا بأن خير نظام للحكم في الشرق هو الحكم المطلق بشرط أن يخضع الحاكم لسلطة القانون المستند الى دعامة أخرى مستقلة عن الحاكم وأقوى منه وذلك بفرض عنصر أوروبى على القضاء المصرى بحيث لا يخاطر الحاكم بتحديه خوفا من الدول الأوروبية (٣٠) . وفى طريق العودة الى مصر ناقش نوبار مع السفير البريطانى فى الأستانة - سير هنرى بلور - موضوع قناة السويس . وكانت بريطانيا منذ البداية تعارض المشروع وضربت على الوتر الحساس حين لفتت نظر الباب العالى الى

---

(٢٠) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مصر والمسألة المصرية من ١٨٧٦ الى



خطورة انشاء هذا الطريق المائي الذى قد يؤثر على نظام الدفاع عن مصر بحيث يتوقف ارتباطها بالدولة العثمانية على حسن نيات الوالى الذى قد يفيد من التسهيلات المادية التى يوفرها له حفر قناة السويس فيخلع ولاءه للباب العالى ويعلن استقلاله مدفوعا الى ذلك بأطماعه الشخصية أو بتحريض أى جهة أخرى . كما وجهت نظر الساسة الأتراك الى أن سعيد قد أرفق بعقد الامتياز الأول خطابا أقر فيه أن عقد الامتياز ذاته يجب أن ينال موافقة الباب العالى (٣١) . ورغم ذلك فقد كان نفوذ دلسبس ، المستند الى تعضيد الحكومة الفرنسية ، يحرف كل شئ أمامه خصوصا وأنه كان يباشر نفوذا شخصيا قويا على الوالى الذى لم يعبأ بمعارضة بريطانيا بحيث ان مياه البحر المتوسط ، حين وفاته ، كانت قد جرت حتى بحيرة التمساح . وسيبقى نوبار فى عهد الخديو اسماعيل الى التصدى للشروط المجحفة التى تضمنها امتياز القناة دون أن يقضى على المشروع برمته .



أما القسم الرابع من المذكرات الذى يشغل أكثر من نصف حيزها ، فهو يتناول عهد الخديو اسماعيل ( ١٨٦٣ - ١٨٧٩ ) ويمكن اعتباره أهم أقسام مذكرات نوبار ، فقد قلب نوبار فى

---

(٢١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : علاقات مصر بتركيا فى عهد الخديو اسماعيل ، ص ٢١ - ٢٢ .

عهد هذا الحاكم فى عدة مناصب هامة فرض طابعه عليها واتخذ فيها عدة قرارات هامة واستطاع اقناع اسماعيل بالموافقة عليها واختلف معه بصدد ما أدى الى اعفائه من منصبه عدة مرات ليعود اسماعيل الى تعيينه من جديد لشدة حاجته اليه، وقد شغل نوبار فى عهد اسماعيل الحقائق التالية : وزارة التجارة ووزارة الأشغال العامة ووزارة الخارجية ورئاسة مجلس الوزراء ورئاسة أول وزارة « مسئولة » . وكانت المناصب التى تولها نوبار فى عصر اسماعيل تتصل من قريب أو من بعيد بمسائل ذات صفة سياسة ، واستطاع هو أن يفرض طابعه عليها مستعينا فى ذلك بذكائه الفطرى ونشاطه الجهم واستعداده الدائم المتعلم واتقانه لعدة لغات . وأيا كان المنصب الذى شغله فانه كان يتمسك بمبادئ أساسية ترتبط بمصلحة الشعب المصرى سواء أكان يتولى مناصبا رسميا أم لا ، بل وفى أثناء وجوده فى المنفى . ومصدر هذه المبادئ جميعا هو مفهوم العدالة الذى تمسك به تمسكا شديدا : فهو يتصدى للاستبداد وقموة الضرائب والأساليب التعسفية التى اتصفت بها الإدارة المصرية التى لم يحكمها قانون ، كما يتصدى للامتيازات الأجنبية والسفرة ، ونحن نجده يعبر فى مذكراته عن حبه الصادق لمصر ، وهو ما نلمسه فى أقواله التى منها : « ان الإقامة فى أوروبا شاقة بصورة أو بأخرى على الشرقى ،

أيا كانت الراحة التي ينعم بها المرء في أثنائها • ففيها لا يستطيع أن يحيا ويؤكد ذاته • ويمكنني أن أقول اننى أمضيت في الخارج اثنتى عشرة سنة من مجموع سنوات حكم اسماعيل البالغة خمسة عشر عاما (١٢) ، قمت خلالها بمهمات ورحلات وقضيت فيها فترات في المنفى • وكنت باستمرار أشعر بالأسى لبعدي عن مصر وأحن إليها - ولدى عودتى إليها كان يغمزنى السرور الشديد « (٣) » •

وفي عام ١٨٦٧ كتب ما يلي الى زوجته التي كانت في نيس :  
« فسرت لك في خطابى السابق سبب تأخير رحيلى الى  
استانبول •• اننى أتمنى الى مصر ولن نستطيع ، أنت وأنا ،  
أن نعيش في مكان آخر •• وذلك رغم أن الحياة فيها مستحيلة  
طالما يعيش فيها الأوروبيون دون أن تحكمهم قيود أو قانون  
وطالما لا توجد لدينا محاكم • اننى أتألم لأننى لا أطيق الظلم •  
ونحن بحاجة الى محاكم نحمينا من الأوروبيين ومن الوالى ،  
فمثل هذه المحاكم توفر لنا العيش الآمن والكرام • اننا بحاجة  
الى محاكم تجعل مصر هى مصر • وان اقامة العدالة هى التى  
ستسير بنا رأسا الى الاستقلال • ونحن عبر لى الوالى عن  
طموحه الى الاستقلال كان ردى الضريح عليه هو أن أول ما يجب

(٢٢) بلغ حكم اسماعيل ستة عشر لا خمسة عشر عاما •

(٢٣) مذكرات نوبار ، ص ٢٦٦ •

علينا عمله هو أن نكون رجالا وأن نرفع النير الذي يفرضه علينا الأوروبيون » •

لهذا بذل نوبار في عصر اسماعيل جهودا متواصلة ( يفصل الكلام عنها في مذكراته ) لاقامة المحاكم المختلطة • فقد أجرى مفاوضات مع الدول السبع عشرة المتمتعة بالامتيازات الأجنبية • وعلى حين أن انجلترا وألمانيا والنمسا كانت في صف الإصلاح القضائي فقد عارضته كل من فرنسا والدولة العثمانية • ففرنسا كانت تعتبر نفسها الراعي التاريخي للامتيازات الأجنبية ، في حين لم ترحب دوائر استانبول بالمفاوضات المباشرة بين مصر والدول وذلك على اعتبار أن الإصلاح المرغوب فيه يتضمن خرقا للشريعة الاسلامية التي تألف أن يحاكم المسلم على يد ذمي ، ولأن تطبيق قوانين أجنبية في إحدى الولايات قد يؤدي الى سيطرة الأجانب عليها • وتوجت جهود نوبار بالنجاح في آخر الأمر وافتتحت المحاكم المختلطة في أوائل عام ١٨٧٦ • وكان العنصر الأساسي فيها من الأوروبيين الذين كانت تعينهم حكوماتهم • أما القوانين المطبقة فيها فقد اختلفت اختلافا أساسيا عن أحكام الشريعة الاسلامية التي كانت من الممكن الرجوع اليها • وعلى حين لم يسمح باستعمال اللغة العربية فيها فقد كانت اللغات السارية فيها هي الفرنسية والانجليزية والاطالية • حقيقة أن نوبار قد سعى بحسن نية الى تنظيم القضاء القنصلي

الا أن قوانين المحاكم الجديدة لم تكن معروفة لدى الفلاح العادى مما جعلها وسيلة لابتزاز الفلاحين على أيدي المرائين الأجانب . وفى علاقاتها بالحكومة خولت النظر فى كل الحالات التى تمس فيها الاجراءات الادارية حقوق الأجانب ، كما أنها بحكم وجوب افادتها بكل القوانين العقارية الجديدة ادعت لنفسها ضرورة الموافقة على كل قانون يمس نظام الضرائب . وأهم من هذا أنها عرضت اسماعيل وكل أفراد أسرته لأحكامها فى كل ما يمس مصالح الأجانب مما أدى الى تصويب ضربة شديدة الى ما كان يتمتع به ولاية مصر من حكم مطلق - وقد يكون هذا هو الهدف الرئيسى لنوبار الذى كتب لأحد أصدقائه يوم توقيع الاتفاقية الخاصة بائشاء المحاكم المختلطة : « اليوم وضع أول نغم تحت سلطة اسماعيل وأظن أن هذا اللغم سينفجر يوما ما » (٢٤) . حقيقة أن المحاكم الجديدة نظمت القضاء القنصلى ولكنها لم تلبث أن ووجهت بالنقد فيما بعد لأنها نصبت قضاة أجاب للحكم فى المسائل التى تهمة المصريين ولأن ائشاءها هى والمحاكم الأهلية قد أدى الى تراجع أحكام الشريعة الاسلامية .

الا أن كثيرا من المصريين والأجانب رحبوا بالاصلاح

---

Sabry L'Empire Egyptien sous Ismail, P. 318.

(٢٤)

مذكورا فى كتابى مصر والمسألة المصرية ، ص ٢٢ .

القضائي بحيث افتتح في اليوم التالي لوفاة نوبار اكتتاب لاقامة  
تمثال له في الاسكندرية التي قامت فيها محكمة الاستئناف  
للقضاء المختلط . وقد ساهم في هذا الاكتتاب كثير من سكان  
مصر من اهل وأجانب ، بل لقد ساهم فيه عدد من فقراء القرى  
والفلاحين الذين تبرعوا بقروشهم القليلة لاهياء ذكرى « أبو  
الفلاح » الذي دافع عنهم وخلصهم من الظلم الذي كانوا  
يرزحون تحته .

كما بذل نوبار جهودا متواصلة من أجل تقليص الامتيازات  
التي حصت عليها شركة قناة السويس . ففي استانبول عول  
على الاعتماد على انجلترا من أجل القضاء على امتيازات  
الشركة ، وعلى فرنسا للتغلب على محاولة كل من انجلترا  
والباب العالي فرض السيادة العثمانية المباشرة على مصر (٢٥) .  
وفي باريس شن نوبار حملة صحفية على الشركة وتوصل مع  
دلسبس الى اتفاق وافق فيه هذا الأخير على الغاء السخرة  
واعادة الأراضي التي نص عليها الامتياز الى الحكومة المصرية .  
وفي النهاية أمكن الغاء السخرة واسترداد معظم الأراضي لكن  
بعد أن تقاضت الشركة في نظير ذلك تعويضا من الحكومة  
المصرية هو الذي مكنها من مواصلة العمل الى أن انتهى حفر

---

(٢٥) راجع تفاصيل مفاوضات نوبار بهذا الخصوص في :

G. Douh, Histoire du Règne du Khédive Ismail, tomes I et II.

القناة ووصل البحرين المتوسط والأحمر • كما تفاوض نوبار في عاصمة الدولة العثمانية حول توسيع استقلال مصر الذاتي مما أدى في عام ١٨٦٦ الى تعديل نظام وراثته العرش في مصر بحيث يكون في أكبر أبناء الوالى الذى حصل في عام ١٨٦٧ على لقب خديو الذى ميزه عن سائر الولاة العثمانيين وعلى حق عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية بشأن التجارة والتراخيص وبوليس الأجانب وحق سن القوانين التى تمس الأوضاع الداخلية لمصر وحق عقد القروض وزيادة الجيش والأسطول ، وبذلك حصل اسماعيل على حرية فى العمل استغله لسوء الحظ فى الاقتراض والدخول فى علاقات مستقلة مع الدول الأجنبية فيما يتعلق بتسوية الديون • وأخيرا أكد فرمان ١٨٧٣ كل المزايا التى منحتها الدولة العثمانية لمصر وحكامها منذ عام ١٨٤١ • وقد أعجب الصدر الأعظم العثمانى محمد أمين على باشا ببراعة نوبار فى التفاوض فعرض عليه أن يعينه وزيرا للأشغال العامة فى استانبول • الا أن اسماعيل رفض هذا العرض كما رفضه نوبار ذاته بحكم أن استانبول ليست مصر وأن الحكم المطلق السائد فى البلدين يسهل التصدى له فى مصر عنه فى الدولة العثمانية وأن تقاليد أسرة نوبار كانت مرتبطة بمصر : «فالإنسان لا يتخلى عن بلده كما يتخلى عن زوج أحذية بال •• وإذا كان الوالى لا يرحب بى فبامكانى أن أكون فى بلدى

شخصاً عادياً أنعم باستقلالي ولكنني لن أكون على الإطلاق  
موظفاً في الباب العالي» (٢٦) •

وبعد أن ازداد سوء أوضاع مصر المالية وبدأ تخبط  
اسماعيل أخذت علاقاته «بوزير خارجيته» تزداد سوءاً يوماً بعد  
يوم ، خصوصاً وأن اسماعيل كثيراً ما كان يتصرف في الأمور  
على هواه بحيث أن نوبار كان يرى أن مناقشته لا تعنى دراسة  
مسألة ما وإيضاحها بل جعل محدثه يشير عليه بعمل ما يسعى  
هو في الواقع إلى عمله وأن يتخذ القرار الذي يرغب هو في  
الواقع في اتخاذه (٢٧) • ففي عام ١٨٧١ أصدر اسماعيل قانوناً  
غريباً أطلق عليه اسم قانون المقابلة نص على إعفاء كل من  
يدفع ضريبة الأرض لست سنوات مقدماً من نصف الضريبة  
إلى الأبد • وأقبل كثير من الملاك على دفع المقابلة واضطرو  
بعضهم إلى الاستدانة لهذا السبب • وعلى حين أن المقابلة كانت  
اختيارية في البداية إلا أنها لم تلبث أن أصبحت إجبارية • وقدرت  
الأموال التي تم تحصيلها بهذا الشكل بنحو ١٥ مليون جنيه •  
وقد انتقد نوبار هذا القانون انتقاده لزيادة الضرائب وقسوة  
الاجراءات المتبعة في تحصيلها ، كما انتقد السخرة واثقال كاهل  
الفلاحين بالرسوم والضرائب • وحين فكر اسماعيل في فرض

---

(٢٦) مذكرات نوبار ، ص ٣٩١ •

(٢٧) مذكرات نوبار ، ص ٤٢١ •



رسوم جبركية داخلية على البضائع المنقولة من اقليم الى آخر ، بشرط أن يدفعها المصريون وحدهم ، أصر نوبار على تطبيقها على الأجانب ، وأمكنه أن يفرض رأيه رغم معارضة القناصل . واستنكر نوبار استحواذ اسماعيل وأسرته على ١٢٠٠٠٠٠ فدان من مجموع الأراضي الصالحة للزراعة والبالغة ٢٠٠٠٠٠٠ فدان الى ٤٠٠٠٠٠ فدان ، واقتنع بأن لا صلاح لمصر الا اذا تنازل اسماعيل عن هذه الأراضي واكتفى بمخصصات سنوية . كما اعترض على اتجاه الخديو الى فرض الاحتكار على تجارة السودان مما أدى الى اعفائه من الخدمة ( مايو ١٨٧٤ ) وان يكن اسماعيل قد اضطر من جديد الى اعادته الى وزارة الخارجية . ويستنكر نوبار فيما سجله عن عامي ١٨٧٤ - ١٨٧٥ القسوة المتبعة في تحصيل الضرائب مما أرغم الفلاحين على بيع محاصيلهم قبل جنيها في الوقت الذي ازداد فيه الوضع سوءا . وفي أوائل عام ١٨٧٦ كان ولفرد بلنت في زيارة الى مصر وقد آثاره ما شاهده فيها بحيث قدم لنا الصورة المثيرة التالية (٢٨) : « كان من النادر حينئذ أن ترى شخصا في الحقول وعلى رأسه عمامة أو يرتدى أكثر من قميص على ظهره . بل ان ارتداء العباءة كان مقصورا على عدد قليل من مشايخ البلد . وأيضا ذهبنا

---

— Secret History of the English Occupation of (٢٨)  
Egypt, PP. 11 — 12.

مذكورا في كتاب مصر والمسألة المصرية ، ص ٤٣ .

تكررت القصة • وكانت مدن الأقاليم تمتلئ في أيام الأسواق بالنسوة اللاتي يبعن الى المرايين اليونانيين ملابسهن وحليهن الفضية وسبب ذلك ضغط جباة الضرائب على القرية وكرايهم في أيديهم • كما اعترض نوبار على ما اتتواه اسماعيل من ارسال حملة لغزو دارفور ، خصوصا وأنه كانت تجول بخاطره أطماع توسعية دفعته الى محاولة غزو الحبشة مما عرضه لهزيمتين فادحتين في الوقت الذي فشلت فيه مساعيه الى السيطرة على زنجبار •

وازاء كل هذا التخطي من جانب الخديو نجد نوبار يبدأ في لعب دور مثير للجدل سأحاول فيما يلي أن أقيمه تقييما موضوعيا مستندا في ذلك الى دراستي الوثائقية الخاصة بهذه الفترة والتي أوردتها في كتابي « مصر والمسألة المصرية » الآنف الذكر وبمذكرات نوبار ذاته • فحين اشتدت أزمة مصر المالية وازداد وضع البلاد الاقتصادي سوءا طلب اسماعيل من بريطانيا أن تعيره أحد موظفيها لترتيب شئونه المالية في الوقت الذي كان ينوى فيه اعلان افلاسه وهو ما عارضه نوبار والدول التي كان رعاياها دائنين لمصر ، ومن ثم لجوء اسماعيل الى بيع أسهم مصر في قناة السويس للحكومة البريطانية • ثم أرسلت بريطانيا الى مصر بعثة يرأسها ستيفن كيف عضو مجلس العموم البريطاني وكبير القاطنين على شئون المدفوعات - وكانت

مهمة هذه البعثة اجراء تحقيق مبدئى يمكن الحكومة البريطانية من أن تقرر هل توافق أم لا توافق على طلب اسماعيل الخاص بتعيين موظف انجليزى مستشارا ماليا للخزانة المصرية • وعارض اسماعيل منذ البداية اجراء التحقيق الذى كانت تهدف اليه الحكومة البريطانية ، كما عارضه نوبار الذى يشير فى مذكراته إلى أن « كل الدم المصرى ثار فى عروقه » حين تبين هدف البعثة وصرح لكيف بقوله : « فى ظل هذه الظروف كان من الأفضل ألا تأتى الى مصر على الاطلاق » • وانهز نوبار المنافسات الدولية التى أحاطت ببعثة كيف لكى يتوصل الى افشالها • حقيقة انه كان لا يزال يميل الى أن يتعاون العنصر الأوروبى مع المصريين بحيث اقترح على كيف ايفاد انجليزى له من السعة والكفاءة ما يؤهله لشغل وزارة المالية المصرية مع توفير الضمانات الكافية لاستدامة نفوذه بحكم وضعه ذاته وخوف اسماعيل من استقالته ، وان يكن حتى ذلك الوقت يعارض أى تدخل فى شئون مصر أو فرض الرقابة على ادارتها • ورغم ما يشير اليه فى مذكراته من أن معارضته للبعثة كانت تابعة عن حبه لمصر فقد توفر لنا من الأدلة ما يشير الى أنه كان يطمح بسبب أصله الأمريكى ، الى أن يعينه الباب العالى واليا على أرضوم التى كان ثمة مشروع بمنحها استقلالاً ذاتياً ووضعها شبيها بوضع لبنان • ولما كان يلقى تأييدا من جانب سفيرى

روسيا وفرنسا في استانبول فانه كان يطمح في استغلال نشاطه ضد بعثة كيف للتقرب من كلا السفيرين والباب العالي الذي رفض مساعي السفير الروسي بهذا الخصوص ، وان يكن نوبار اكتسب الى جانبه قناصل روسيا وألمانيا والنمسا وإيطاليا الذين نصحوا اسماعيل بتوخى التعقل وعدم الاستسلام للنفوذ البريطاني وحده ، وهو ما نصحه به الباب العالي والسفير الروسي في استانبول •

حينئذ كانت قد ازدادت شكوك اسماعيل في نوبار الذي انتقد سياسته الاقتصادية والسخرة وجباية الضرائب مقدما والاتفاق الباهظ على الجيش • وفي يناير ١٨٧٦ تم تعيين محمد شريف باشا وزيرا للخارجية بدلا من نوبار الذي احتفظ بوزارة التجارة • وقدم نوبار استقالته وصرح لقنصل فرنسا العام بأنه بدأ يشعر بفقدته لثقة الخديو الذي لم يصح سمعا لنصائحه وأحاط نفسه بمستشاري سوء لا يحسنون العواقب ويسببون بالبلاد صوب الخراب • أما اسماعيل فقد اتهم نوبار بأنه كان من وراء ارسال بعثة كيف وبعثة مماثلة أرسلتها فرنسا لمواجهة المخططات البريطانية ، وبجب السلطة وادعاء البرالية برغم ميله الى الطغيان وطلب منه مبارحة مصر . الا أن نوبار يبين في مذكراته ( ص ٤٦٧ ) أنه كان يسعى الى مقاومة التدخل

الأجنبي (٢٦) • وأنه نصح اسماعيل بأن يبادر الى اقامة مراقبة  
مصريه تجنبه الرقابة التي كانت الدول توشك أن تفرضها عليه  
مما تسبب في طرده من مصر • وعلى أى حال فقد ازداد التدخل  
الأجنبي في شئون مصر فأُنشئ صندوق الدين الذي مثلت فيه  
الدول العظمى ووجه أول ضربة شديدة الى استبداد حاكم مصر،  
ثم تلا ذلك فرض رقابة انجليزية فرنسية على مالية البلاد •  
أما نوبار فقد طفق يتجول في العواصم الأوروبية شارحا وجهات  
نظره في كل من لندن وبأريس وبرلين — ولما كانت المسألة  
الشرقية قد احتدمت في ذلك الوقت نتيجة لثورة بلغاريا ضد  
الحكم العثماني ثم الحرب الروسية — التركية التي تلت ذلك ،  
فقد جرى اقتراح بتعيينه واليا على بلغاريا التي طرح اقتراح  
بمنحها استقلالاً ذاتياً على نمط الوضع المعمول به في لبنان ،  
ولو أن الحرب الروسية — التركية أدت الى فشل المشروع •

وازاء احتدام الموقف لدولى في أعقاب تصدى بريطانيا  
للتوسع لروسي في البلقان وتهديدها بالحرب ورواج الاشاعات  
الخاصة بقرب احتلالها لمصر ، فإن نوبار بدأ تحركا في اتجاه  
المصالح البريطانية • فمنذ بعثة كيف كان قد اقتنع بأن جسامه

---

(٢٩) سبق ان اشرنا الى ان نوبار كان يجد نوعا من التدخل الاجنبى  
الذى من شأنه شل سلطة الخديو ، وهو ما لم يكن الشعب المصرى يستطيع  
القيام به في هذه المرحلة •

ديون مصر لا بد أن تفضى الى التدخل الأجنبى • ولو أنه كان شديد الرغبة فى مقاومته اذا ما كان فى صالح الدائنين وحدهم • ولما كان هذا التدخل يعرض استقلال مصر للخطر ان لم يقض عليه تماما ، فقد رأى وجوب عدم اغفال مصالح الشعب المصرى - وخير وسيلة لذلك هى اما الاحتلال البريطانى أو فرض الحماية البريطانية على مصر • وفى برلين طرح وجهات نظره هذه على المستشار الألمانى أوتوفون بزمارك الذى رحب بها بطبيعة الحال باعتبارها بديلا لاصطدام بريطانيا بروسيا بسبب البوغازين • ثم توجه الى لندن لمتابعة هدفه وأن لم يجد أذانا مضغية لدى الدوائر المسئولة ، خصوصا وأن رئيس الوزراء البريطانى اليهودى الأصل بنيامين دزرائيلى لم يكن يجد فى احتلال بلاده لمصر ضمانا ضد الأطماع الروسية ، بل كان يعتبر استانبول - لا قناة السويس - المفتاح الحقيقى لطريق الهند • ولكن نوبار وجد ترجيحاً باتجاهاته من جانب العسكريين الانجليز ومن وزارات الخارجية والهند والخزانة ، كما اتصل بالصنحفى ادوارد دايسى رئيس تحرير مجلة القرن التاسع عشر «The Nineteenth Century and after» وأطلعته على مذكراته (٣٠) (٣١) التى يخطئ ابنه بوغوص فى تأويله للكتاب

(٣٠) راجع : Dacey, The Story of the Khedivate, PP. 166 - 8.

مذكورا فى كتاب مصر والمسألة المصرية ، ص ٤٨ •

الذى نحن بصددده حين يذكر أن والده بدأ كتابتها بعد تقاعده )  
وكشف له حقيقة أوضاع مصر • ونشر دايسى مقالات عرض فيها  
وجهات نظره بالشكل الذى يعد رأى العام البريطانى ان لم  
يكن لاحتلال مصر فلفرض الحماية البريطانية عليها •

ثم انتقل نوبار الى باريس حيث قام باتصالات وثيقة بكل  
من يهمهم أمر ديون مصر وعرض عليهم رأيه الخاص بعدم  
اجراء تخفيض فى فائدة الديون قبل اتخاذ الخطوات اللازمة  
لتقدير قيمتها ومدى مقدرة مصر على الدفع واجراء تحقيق حول  
الأسباب التى أدت الى ارتباك اسماعيل المالى •

ثم تشكلت لجنة التحقيق العليا التى تألفت من مندوب  
انجليزى وآخر فرنسى بالإضافة الى أعضاء لجنة صندوق  
الدين • وكان الهدف الضمنى من التحقيق هو محاكمة الخدبو  
والتأكد من قدرة مصر على الاستمرار فى دفع نسبة الأرباح  
السارية على الديون واستبدالها بنسبة أخرى اذا ما عجزت عن  
الدفع • ومن الطبيعى أن يعترض اسماعيل على نشاط اللجنة  
التي أبدت ازاءه روح التشفى وتتبع شئونه الشخصية فشكا  
الى قنصل بريطانيا العام من أن التحريات التى تقوم بها عنه  
وعن أصول الأراضى التى استحوذ عليها تتضمن التشكيك  
فى نزاهته • ويبدو أن مساعى نوبار فى لندن وباريس قد مهدت  
لتعيينه رئيسا للوزراء خصوصا وأنه كان يبدل النصح للحكومتين

الفرنسية والبريطانية فيما يتعلق بالتحقيق ، وصرح لدايسى فيما بعد بأن وزيرى خارجية الدولتين نصحا ، بعد أن يعود الى القاهرة ، بئذ كل جهده لتقليص مساحة أراضى الخديو الى أقصى حد . ولم يكن نوبار بحاجة الى مثل هذه النصيحة - اذ انه كان يجزم بأن ضياع الأسرة الحاكمة فى مصر كانت المصدر الأساسى لشقاء البلاد وبأن اعادتها الى الدولة كانت حجر الأساس بالنسبة الى أى اصلاح مرتقب . وحين تم الاتصال به لتبيين شروطه بخصوص تشكيل الوزارة طلب أن يتلقى دعوة صريحة من اسماعيل الذى صرح بأن هدفه من استدعاء نوبار هو وضع حد للشكوك الشائعة عن تأمره . وقبل أن يعود الى مصر حاول أن يحصل على ضمانات من برلين ولندن وباريس وصرح لدايسى بأنه حصل من وزير الخارجية البريطانية ( روبرت ماركيز سولسبرى ) على ضمان ضد احتمال اقالة وزارته فحواه أنه سيتلقى المساعدة الفعالة من جانب الحكومة البريطانية .

وفى ١٥ أغسطس ١٨٧٨ عاد نوبار الى مصر بعد أن أصدرت لجنة التحقيق تقريرها المبدئى الذى أوصى بتنازل الخديو عن الحكم المطلق وتسليم أراضيه للدولة وقبوله مرتباً سنوياً واجراء بعض الاصلاحات فى الادارة المالية . ووافق نوبار على تقرير اللجنة وصرح بأنه سيقوم ، بعد تلقى الدعوة لتأليف الوزارة ،



باختيار شخص انجليزى. وزيرا للمالية بشرط أن يكون فى يده مطلق السلطة فى العزل والتعيين ، كما سيختار شخصا فرنسيا ليتولى منصبا أقل أهمية ويعين أحسن العناصر المصرية فى بقية المناصب بحيث يفرض سلطة الوزارة على الخديو . ثم حاول أن يقنع اسماعيل بقبول تقرير اللجنة بحذافيره ، ولما لم يصب فى مسعاه هذا نجاحا هدد بالرحيل عن مصر وترك المسألة فى أيدي الدول الكبرى فيما لو لم يتم قبول التقرير . وتعرض اسماعيل لضغوط شديدة لكى يتنازل عن أراضيه ويتخلى عن الحكم المطلق (٣١) . وأخيرا استسلم مرغما وقبل تقرير لجنة التحقيق دون إبداء أى تحفظ وكلف نوبار بتأليف الوزارة مقرا فى خطابه اليه بهذا الصدد مبدأ المسؤولية الوزارية بمعنى أن يحكم عن طريق مجلس وزرائه وبالاشتراك معه . وتقرر تعيين انجليزى ( رفرز ولسون ) وزيرا للمالية ، وفرنسى ( دى بلنير ) وزيرا للأشغال العامة .

ولكن اسماعيل ، الذى لم يقبل وزارة نوبار - التى عرفت باسم الوزارة الأوروبية - الا مرغما ظل يتلمس الفرص التى قد تتيح له استرداد سلطته المطلقة ، خصوصا وأنه كان من المعروف عنه أنه لا يحترم وعوده . ولأسباب عدة كان النظام

---

(٢١) أشار نوبار فى مذكراته ( ص ٢٧٧ ) الى أن سلطة اسماعيل كانت تفوق سلطه لاما التبت .

الجديد متضيا عليه بالفشل \* فتوفير الانسجام بين مختلف العناصر التي تضمها الحكومة والتوفيق بين وجهات النظر المتضاربة والمصالح المتعارضة وشفاء الأحقاد المتنافرة ودفع الوزارة الى العمل بروح الجماعة - كل هذا كان يتطلب مهارة فائقة وقدرا كبيرا من الحنكة السياسية \* ولما كانت هذه التجربة تمارس في بلد اسلامي كان من اللازم أن يمثل العنصر الوطني في الوزارة مشاعر السكان ووجهات نظرهم وميولهم الدينية تمثيلا كافيا \* ولما كانت مصر حتى ذلك الوقت لم تعرف سوى نظام الحكم المطلق كان من الواجب أن يتعاون رئيس الدولة مع الوزارة حتى يتسنى لها الاضطلاع بالسلطة \* إلا أن نوبار وولسون لم يحاولا إخفاء مقتهما الشخصي لاسماعيل ، بل بذلا كل ما في وسعهما لتجريداه من كل سلطة وتحويله الى مجرد حاكم اسمي ، في الوقت الذي كان فيه اسماعيل لا يزال يتمتع بنفوذ قوى على الموظفين الوطنيين وكان بيده نجاح النظام الجديد أو فشله ، خصوصا وأن نوبار لم يحظ بعطف الشعب أو بثقته ( بعكس ما رددته في أكثر من موضع في مذكراته ) : فقد كان المصريون يعتبرونه أداة لفرض الحماية البريطانية على البلاد : هذا بالإضافة التي كونه أرمينيا ذميا ، كانت طبقة الموظفين المصريين تعجزم بأنه أثرى على حساب المصريين ، باعتباره عميلا للرأسماليين الأوروبيين ، كما اعتبره

الفلاحون الروح المحركة لانشاء المحاكم المختلطة انتهى. أسلمتهم  
 لشراة المارين اليونانيين . وعلى حين أن نوبار لم يتقن اللغة  
 العربية كان الوزيران الأجنيان يجهلان لغة البلاد وعاداتها  
 وتقاليدها مما أدى الى صعوبة فرض سلطة الوزارة على المرءوسين  
 وجعلهم ينفذون خططها . لهذا كله أثارت الوزارة سخطا واسع  
 النطاق استغله اسماعيل في الأخذ بثأره في أقرب وقت . لهذا  
 انتهز فرصة المظاهرة التي قام بها الضباط المسرحون الذين  
 لم يقبضوا رواتبهم طوال عشرين شهرا وآهانوا خلالها ولسون  
 ونوبار اللذين تصادف مرورهما على كوبرى قصر النيل وطالب  
 باستقالة وزارة نوبار الذى اتهمه بسلب سلطته وضعف  
 مركزه . وحين سئل نوبار عما اذا كان بإمكانه المحافظة على  
 الأمن العام أجاب بالنفى وقدم استقالته . وبرغم أن بريطانيا  
 وفرنسا حاولتا احتفاظ نوبار بمنصب وزارى دون أن يتولى  
 رئاسة مجلس الوزراء ، الا أن اسماعيل رفض اضطراره بأية  
 مسئولية وزارية وطلب منه أن يغادر مصر ، فتوجه الى أوروبا  
 حيث تابع اتصالاته بالدوائر الانجليزية والفرنسية التى بدأت  
 تفكر جديا فى خلع اسماعيل ولو استلزم الأمر إرسال حملة  
 عسكرية الى مصر لارغامه على الرضوخ لرغبات الدولتين  
 العربيتين . ويذكر نوبار أنه هو الذى عرض على سفير بريطانيا  
 فى باريس - لورد ليونز - أن يقنع دولته ببحث اسماعيل على

التنازل عن العرش بدلا من أن تتصل الدولتان بالباب العالي  
 لتطلباً منه خلع اسماعيل • وأخيرا اتفقت الحكومتان الغربيتان  
 على نصح اسماعيل بالتنازل عن العرش لابنه توفيق على أن  
 يخصص له راتب سنوى اذا ما وافق على اقتراحهما ، واشترطنا  
 أن يكون مفهوما أنهما ستضطران الى الاتصال بالسلطان مباشرة  
 للعمل على خله ، وفي هذه الحالة لن يحصل على الراتب  
 السنوى أو يكون في مقدورة ضمان المحافظة على النظام القائم  
 لوراثة العرش لمصلحة ابنه توفيق • وأخيرا أصدر السلطان  
 فرمانا ينص على خلع اسماعيل خشية أن تخلعه فرنسا وبريطانيا  
 وتوفرا بذلك سابقة تتيح لهما خلع أى وال عثمان لا يتمشى مع  
 رغباتهما • ثم أصرت فرنسا وبريطانيا على أن يبارح اسماعيل  
 مصر فغادرها في أواخر يونية ١٨٧٩ • وتأهب نوبار للعودة الى  
 مصر واسترجاع سلطته ، وأذاع من منفاه أنه سيتولى رئاسة  
 الوزارة • ولكن الوالى الجديد - محمد توفيق بن اسماعيل -  
 أبدى رغبته فى أن يبقى نوبار خارج مصر • ولما كان قنصل  
 فرنسا العام فى مصر حينئذ ( تريكو ) يشك فى نوبار ويعتبره  
 أداة فى يد بريطانيا وألمانيا لوضع مصر تحت الحماية البريطانية،  
 فانه ساند مساعى توفيق • ويعزو نوبار من جانبه موقف تريكو  
 منه الى أن كان قد طلب منه مبلغا من المال لم يمكنه تدييره •  
 ولا يستكمل نوبار مذكراته الى ما بعد خلع اسماعيل ،

برغم توليه رئاسة الوزارة في عهد توفيق ( ١٨٨٤ - ١٨٨٨ ) .  
وفي عهد خلفه عباس الثاني ( ١٨٩٤ - ١٨٩٩ ) ولا يقدم اذلك  
تفسيرا معقولا .



ويذيل نوبار مذكراته بملحوظات يذكر فيها أنه كتبها في  
الفترة الممتدة ما بين نوفمبر ١٨٩٠ ومايو ١٨٩٤ بهدف تقديمها  
لأمرته وحدها دون أن يفكر في نشرها . وفي هذا التذييل  
نجد يفسر مواقفه التي صادفنا جوانب منها في السياق السابق ،  
فيؤكد إيمانه بالمعادلة التي يلح إلى أنها قد تحققت في نهاية  
الأمر في الوقت الذي أنهى فيه مذكراته وكان لا يزال فيه مشغولا  
بمستقبل مصر الذي لاحظ أنه يسير صوب الاستقلال والاعتماد  
على النفس والمحافظة على مصالح الآخرين الذين يهتمون بمصر  
بحكم موقعها الجغرافي وبحكم أن وضعها يرتبط ارتباطا وثيقا  
بما عرف باسم « المسألة الشرقية » . ورغم أنه لم يستطع التنبؤ  
بما سيكون عليه هذا المستقبل إلا أنه أبدى تفاؤلا ببعثه  
إيمانه بالشعب المصري الذي - في رأيه - يشبه الطفل في مرجه  
ولطفه ، ولو أنه في بعض الأحيان يشبه الطفل أيضا حين يعتمد  
الازعاج . فرغم خضوع هذا الشعب عبر القرون للغزاة  
والطغاة الذين استغلوه وآسأوا إليه إلا أنهم لم يؤثروا فيه ولم  
يسبروا أعماقه التي صمدت للأحداث ولم تتزعزع . وطالما

تحققت العدالة لهذا الشعب الذى اطرح العبودية ، فان المستقبل  
 - كما رآه نوبار - كان يبشر بآمال كبار . والغريب أن مفهوم  
 العدالة هذا لم يتحقق الا في ظل الاستعمار البريطانى الذى  
 رأينا أن نوبار لم يتورع عن التمهيد له باعتباره وسيلة للضرب  
 على أيدي الحكام من أسرة محمد على على الذين لم يقيموا وزنا  
 للقيم الانسانية واعتبروا الشعب المصرى - كما اعتبره الحكام  
 الأجانب الآخرون - أداة للاثراء وتحقيق الأطماع . وتقييمنا  
 لدور نوبار في هذا المضمار يختلف باختلاف نظرتنا الى  
 الأشخاص والأشياء والقيم . فنحن ننفر من السيطرة الخارجية  
 وثمن بالاستقلال وتقرير المصير ، ولكننا لا نتردد في أن نجزم  
 بأن أوضاع الشعب المصرى بعد عام ١٨٨٢ كانت أحسن حالا  
 مما كانت عليه تحت حكم كل من محمد على وعباس وسعيد  
 واسماعيل . وقد يقول قائل ان نوبار من الأشخاص الذين يطلق  
 عليهم عادة اسم « أعوان الاستعمار » ، ولكننا لا يمكننا أن  
 نعطى الرجل حقه ، فقد لعب دورا كبيرا كان حكامنا عليه  
 في زعزعة الحكم المطلق الذى عرفته مصر منذ أقدم العصور .



وقبل أن ننهي عرضنا هذا لابد أن نشير الى الملاحظات  
 التى سطرها بوحوص بن نوبار في عام ١٩٢٣ . فهو يشنبر الى  
 المزايا التى مر بها اعداد مذكرات آتية التى لا تكتمل ضرورتها

الا بقراءة الرسائل التي بعث بها نوبار الى زوجته ، وهي رسائل يبلغ عددها أكثر من ١٥٠٠ رسالة تتضمن شرحا لأفكاره وأعماله ومشاهداته وللأحداث التي شارك فيها . وفي هذه الرسائل يشرح نوبار الأسباب التي جعلته لا يستكمل مذكراته ، اذ ضعفت حماسه منذ أن فقدت مصر استقلالها في أعقاب خلع الخديو اسماعيل ، وبدا له أن تاريخها قد أصبح أقل اثاره عما كان عليه من قبل ، وذلك رغم اشتراكه في الحياة العامة وكونه من العاملين على الغاء السخرة في عام ١٨٩٠ . فهل مرجع هذا أن نمط الحياة في مصر في ظل الاحتلال البريطاني كان مخالفا لما كان عليه من قبل ، وأن هذا الاحتلال قد حجب دور نوبار كما حجب أدوار آخرين ممن لعبوا دورهم على ساحة السياسة المصرية ؟

لقد حث بعض الأصدقاء نوبار على نشر هذه المذكرات ، بل لقد بدأ صديقه ادوارد دايسى ترجمتها الى اللغة الانجليزية ، ولكنه لم يوافق على النشر مكتفيا بأن أبدي لزوجته رغبته في نشر ما يتعلق منها بعصر محمد علي وعباس وسعيد مقدرا صعوبة نشر ما يتعلق بعصر اسماعيل الذي عمل نوبار مع ابنه توفيق وحفيده عباس . وبعد وفاة نوبار في عام ١٨٩٩ ظلت هذه الصعوبة قائمة بحكم أن أبناء وأحفاد اسماعيل ظلوا يتعاقبون على حكم البلاد ، وأن الملكين فؤاد وفاروق اعترضوا على نشرها .

وقد تجددت رغبة أسرة نوبار في نشرها بعد سقوط النظام الملكي في مصر عام ١٩٥٢ ، ولو أنهم رأوا أن الوقت غير مناسب للانضمام الى جوقه نقاد « العهد البائد » ، وإن سمحوا لبعض الباحثين بالاطلاع عليها . وأخيرا قام مريت بطرس غالى على نشرها في عام ١٩٨٣ دون أن يضيف اليها أو يحذف منها شيئا .

أما رسائل نوبار الى زوجته التي كان يفترق عنها كثيرا نتيجة للمهام التي كان يقوم بها الى الخارج ولأن صحتها لم تكن تساعد على البقاء في مصر خلال فصل الصيف (٣٢) فإنها لم تنشر بعد . وقد بذل بوغوص نوبار جهدا كبيرا في قراءة هذه الرسائل ونقل منها الصفحات التي تهتم الأسرة أو تتصل بالأحداث السياسية التي اشترك فيها والده . وكان وجه الصعوبة فيما قام به بوغوص أن نوبار لم يسجل التواريخ الا نادرا . ولمس بوغوص أن والده لم يستعمل رسائله الى زوجته في كتابة مذكراته ، فحاول اضافتها اليها ولو أنه وجد أن حجم الرسائل يبلغ ضعف حجم المذكرات ، مما جعله يؤجل نشرها ، ثم بحث من مؤرخ متخصص في تاريخ المسألة الشرقية ممن تعرفوا على والده لكي يعهد اليه بكتابة سيرته ، ووقع اختياره على

---

(٣٢) تغطي هذه المراسلات الفترة الممتدة بين زواجهما في عام ١٨٥٠ وبين ١٨٩٥ الذي تقاعد فيه نوبار .



سبر فالتنين شيروول المدير السياسى السابق لجريدة التايمز اللندنية الذى كان قد زار مصر مرارا وتوثقت علاقته بنوبار الذى أطلعته على انجازاته ومفاوضاته والمعارك التى خاضها من أجل الاصلاح القضائى • وبدأ شيروول العمل وأودع المذكرات معلومات لم تنشر وضعها بوغوص تحت تصرفه ، ولكن يبدو أنه لم يتابع جهده فى هذا المضمار •

ويشير بوغوص الى أن مذكرات والده الذى تجنب أن يجعل منها سيرة ذاتية ، مكتفيا بشرح الأحداث التى شارك فيها والتعليق عليها ، لا تخلو من أوجه نقص ، خصوصا وأن والده سطرها من الذاكرة دون أن يضمها أية تواريخ أو يراعى الترتيب الزمنى للأحداث فى سياقها الصحيح ، خصوصا وأن والده لم يحتفظ بيوميات أو بنسخ من الوثائق التى كتبها ، مما جعله يستعين فى تحقيق المذكرات بمراسلات والده الخاصة وبما خلفه من أوراق تضم أعدادا كبيرة من الوثائق ( خطابات رسمية وخاصة ، برقيات ، ملاحظات ، ومفكرات ) ذات الأهمية التاريخية • ولم يكن هدف بوغوص كتابة سيرة والده حتى لا يثهم بالتحيز ، وهو يسجل أن مهمته لم تتعد جمع المذكرات وترتيبها ، وأن العمل الذى اضطلع به لن يكتمل إلا اذا وضعت تحت تصرفه المذكرات الموجودة فى مصر • وهذه المهمة متروكة

لباحث يتصدى لتقويم دور نوبار تقويما متكاملا خصوصا وأن بالإمكان الآن الاطلاع على الوثائق الأصلية المودعة بدور المحفوظات الفرنسية والبريطانية ، وهذا لو أمكن استكمال ترتيب الأرشيفات المصرية (٣٣) والتركية حتى تقوم بدورها في دعم البحث التاريخي (٣٤) .




---

(٣٣) أطلعت - في سجلات الوثائق المصرية - على مجموعة من الوثائق الفرنسية التي تضم كثيرا من مكاتبات نوبار في مصر اسماعيل في ملفات تحت عنوان «Egypte/Politique» كما أطلعت على بعض مكاتباته التركية المترجمة الى اللغة العربية المودعة في ملفات دقاتر الحمية - دقاتر عابدين - ملخصات محافظ الحمية .

(٣٤) صدر كتاب باللغة الفرنسية في عام ١٨٨٥ يقيم دور نوبار وعنوانه كالآتي :

Alexandre Holynski, Nubar pacha devant l'Histoire.

ولم تتبين طبيعة العلاقة بين نوبار وبين هولنسكى الذى عمد الى قاع من مواقف نوبار السياسية .

20<sup>th</sup> of July 1830. - 80 -

Began on Train the Train. in  
Plymouth Sound.

I dried up my tears and followed him, but we had not gone ten paces when an elderly Omanly, with "caouk", "kunk" and yellow slippers came up to my good conductor. Kicks him, swears, makes much noise and took me away from him. His independent raisomer took me to a cook's and gave me meat to eat and water. Led me across the water to Galati up to my house. I found the whole family in the greatest alarm thinking I had been lost. My father immediately laid me on my back and administered to the soles of my feet some dozen heavy strokes with the "masha".

At the best of my recollection it was in the summer of 1816 that my female removers from Baghdad to Irbil, a very delightful place in the country some few miles from the city, a large paved court, fitted up with cushions and covered in with an awning was sufficient to hold all the household. The machine was drawn by two oxen at a slow pace. The women, on foot and on the heels by pushing them with a long pole which. The women bread making and made dishes on the spot to regale ourselves in the way. My father sat outside smoking his pipe whilst my mother and sister muffled up in veils and loose garments passed through the summer to cool the body and live at the happy times. Baghdad.

-75-

My stay with the Akai did not last long. I  
 decided, for several reasons, not to write  
 the European letters. I had to count up to  
 a thousand, and to read words in an Italian  
 dictionary without understanding their meaning.  
 About this time used to accompany my father  
 to a small, in a certain little room, where  
 he sat surrounded with papers, writing much  
 and sighing deeply. "and not like" "I restrain  
 of sitting" in one corner with my legs under  
 me used to listen to his hurried whispering in  
 Franc. characters - but managed to slip away  
 from his presence and lay down near a  
 pump in an open place to see the Trudyas  
 fight. One day I ventured to follow a company  
 of these pedestrian bands - further than the my  
 knowledge of the topography of the town  
 extended, and in vain I tried to find out my  
 father's study or call. I began to be frightened  
 and running about the busy narrow streets  
 came to a place, where a poor man was being  
 up by the neck it crowd of people were  
 standing round it reading a large sheet  
 which was attached to the wall of his breast  
 as I never had seen such a sight before, I began  
 to cry aloud, shouting loud, and saying "am  
 something is the greatest idea is my father"  
 "ragged young man" came up to me, gave me  
 a new pair and he was a particular friend  
 of my father and of I came to his house that  
 night to eat "beard" he would take me to  
 Bygdon in the morning

Then the mill will lose."

March 8<sup>th</sup> A party was formed of Messrs.  
Lecard, Barry Johnston & myself to go  
and see Mr. Leonard's dockyard at Greenock.  
The steamer took us down in 3 hours, and  
up again to the Braemar in 8.

March 22<sup>nd</sup> Wrote to my Mother in Canton.  
Singapore, in Italian. Sent a paper I had  
written on Steam Navigation to Mr. Rugg  
in Alexandria. Took a part in scheming with  
Dr. Bell & Mr. Johnston, to get the Vice-  
roy of Egypt elected an Hon. Mem. of the Royal  
Academy Society. There was a dinner at the  
University.

March 23. Wrote to the President of King's  
College for a copy of the regulations.  
Mr. Parker the Librarian visited me.

March 24<sup>th</sup> Visited Dr. Ross of 20,000 and  
in Glasgow 160,000 worth of stock, 10,000  
Dove N 2400 gal. Daily, 10,000  
Dove N 2400 gal. Daily, 10,000

at Glasgow. I left this eve with me.  
 April 18<sup>th</sup>. Examined the works at Prof. Dundas.  
 It is 200 feet higher, in level, than the  
 Clyde.  
 April 16<sup>th</sup>. Returned the following works to the  
 University Library:—  
 Asiatic Transactions, 12 vols.  
 Manchester Memoirs. 4 vols.  
 Murphy on Weaving  
 Franklin on Weaving  
 Callie printer's, assistant  
 Muller's, Attack.  
 Walker's, Philosophy  
 Edgstone Lighthouse.  
 History of the Northern Lighthouse.  
 Walker Scott's, History of Scotland. 2 vols.  
 Dr Warr's Chemical Dictionary.  
 Grant's " " " " " "  
 Second visit to Glasgow. 1830. . .

Tuesday 2<sup>nd</sup> of March. Visited Mr Thompson,  
 spinning Mill. He said "Come as often  
 as you please, but do not remain long"  
 any one time, because your presence will  
 divert the attention of my people, particularly  
 of the females from their work. and

26

276-

When pursuits were not possible; and  
I followed them up with great ardor.  
considering them highly necessary in  
a country like Egypt where the rising  
commerce and general agriculture would  
lead to the establishment of great cities  
spread through the medium of the Nile  
and the artificial branches of that  
river. I was on tendency to embark  
in the first series of my astronomical  
observations by the Hephreah - which  
is my great intention I was ordered  
to enter an entirely new field of science  
and knowledge in which I found  
myself unable to call in and the result  
of my studies in London.

In page 90



What were my occupations in Rome.

\*\*\*

I set about seriously to perfect myself in the theory of hydraulics, & hydrostatics, and having plenty of leisure was enabled to read me in French literature and the various languages. In the evenings I opened my Military Books - and I did this that more victoriously as the manner of fortification, field works and other details of the military art afforded subjects analogous in homogeneity to my previous studies; the exercises I expressed to the Duke to read the progress of the works - thereby the recreation of the Duke's gate, sluices, ponds, and ports. After requesting this I got tired of attending a work so uninteresting - thought it were idle to have long walks with him - I saw seeing how a hard was working and in doing one or two gates finished and not so - I did not learn at reception to take him in attending upon the execution of others of which the same construction. Consequently after this, back for months of my visits to the Duke - I grew more relaxed and employed the greater part of my time in studying the theory of hydrostatics, hydrodynamics, and in forming works in general manuscripts.

. 74 -

" had enough leisure to digest the 'Wings' -  
 some of the 'Wings' and other languages  
 that had the little house. I remained in a  
 library I enjoyed and other persons  
 visiting the wing back of the house in the  
 study of rooms. I am the more strongly  
 convinced as I approached that the birds  
 of the desert, in Egypt was just  
 driving away -

Arrived in London from Glasgow  
 March 28<sup>th</sup> 1872.

" immediately proceeded to 'High Bagg' -  
 was very pleasant - unless I was very good  
 question asked as to an address but  
 my mind was fixed at which was to  
 be the end - I returned to St. George's  
 a friend who had kindly offered me  
 a room in his house, which was very  
 pleasant and the preparation of it was  
 made in the most comfortable manner in  
 the city. London is a charming place  
 these books have reached nearly as  
 with the best of the 'Wings' and  
 with the 'Wings' of the city of London -  
 I have a very comfortable room for my  
 study and a kind of study for  
 the birds in the house

What I learnt in Glasgow:-

My stay in Glasgow was not so long as I could have wished: I had no difficulty of seeing the rooms, which being in the workmen's own houses were not under the eye of the masters. The silver key soon opened the cottage doors. During the latter period of my sojourn in Glasgow - I visited the rooms more frequently than this variety was at first puzzling to me - and it was not until I had procured time on the subject that I was overpowered them I was never allowed to make sketches and for fear of the managers' learning of me I must not take notes - But relied entirely on my memory to write down my recollections after I left them. In the mean time I did not neglect the opportunities of securing the receipt of specimens - every one makes the subject known however to me. This communication of my liberal and liberal friends aided me in my endeavours to understand it a gradual death in the mind - I perceived now in each case in new forms - It is very difficult to see the same thing in different ways - I am not a student of the science of the mind.

107

fully gratified my curiosity. I took and  
direct train Bangor to London where I  
arrived on Friday 20<sup>th</sup> of March 1928.  
During the three or four days I staid in  
Liverpool - my kind host showed me the  
Foundries & Works for making Steam Engines  
He had several coal mines belonging to him  
which he allowed me to descend & examine  
the day we made an excursion to Chester  
where we visited a fish. tower on the  
iceberg principle of construction as the one  
visited near - Parnham or Sandwich. July  
in London. The day I left Liverpool we left  
the house early in the morning and (early)  
to Macclesfield - and on the road, stopped at several  
places worth seeing. I had the pleasure of  
visiting Mr. Hamworth's Paper Mills -  
Mr. Wilson's Paper Mills, and another  
establishment - similar. I saw a large  
scale, being both hot and cold works.  
In these two works Mr. High had some  
difficulties to get me in on account of the  
absence of their proprietors - but upon  
being informed that I was merely an  
English cotton grower. My services were  
accepted.

-71-

fully gratified my curiosity. I left next  
 morning from Glasgow to London where I  
 arrived on Friday 28<sup>th</sup> of March 1828.  
 During the three or four days I staid in  
 Glasgow, my kind host showed me the  
 Foundries & Works for constructing Steam Engines.  
 He had several cast iron boilers belonging to himself  
 which he allowed me to descend & examine.  
 He then made an excursion to Glasgow  
 where we visited a great number of the  
 same principles of construction as the one  
 situated near Glasgow, or Glasgow. Only  
 in London. The day I left home we left  
 the house early in the morning and passed  
 to Plymouth - and on the road, stopped at many  
 places worth seeing. I had the pleasure of  
 visiting Mr. Tennant's Paper Mills -  
 Mr. Wilson's Copper Mills, and another  
 establishment, situated between a large  
 water, being both lead and brass works.  
 In these two works Mr. Wilson had some  
 difficulties to get me in, on account of the  
 Malicious of their proprietors - but upon  
 being informed that I was merely an  
 English Cotton grower, they removed all  
 obstacles.

I staid in the Manchester for days to prepare  
in my final disposition and to take leave of  
my friends. I was very anxious to see the  
great suspension bridge over the Mersey shortly  
before I left England; and the present oppor-  
tunity being the last which will offer  
I procured permission from London to be  
allowed the absence of the vicar - and  
having procured a letter of introduction to  
his Highness the Governor of the Mersey  
I set off with my baggage to London  
carrying a few books and some letters.  
Books which I took with me.

On Thursday 18th of March 1818. Left the city  
for good and travelled to Chester - and took a  
conveyance from that place to the village  
of Llanrwst (Llanrwst) which is distant and situated  
on the left bank of the Mersey. Here I enjoyed  
the hospitality of Mr. Beady and remained  
with them till the 23<sup>rd</sup> when I left him  
at Llanrwst in a coach going to Llanrwst.  
I remained on Sunday twenty-four hours &  
in the full view of the great suspension  
bridge leading to the town. In  
the afternoon I arrived at Bangor and crossed  
the bridge which I had so long desired to see  
I made several visits to the place. The

"Harold" 1<sup>st</sup> went to Wesley and  
remained there till Sunday.

2. March 3<sup>rd</sup> Returned from Asby in  
the afternoon - saw an Engine for the new  
Road close to Mr. Thompson's Mills - and  
visited again the Woodward's Exhibition.

1. 1st 2nd 3rd 4th 5th 6th 7th 8th 9th 10th 11th 12th 13th 14th 15th 16th 17th 18th 19th 20th 21st 22nd 23rd 24th 25th 26th 27th 28th 29th 30th 31st 32nd 33rd 34th 35th 36th 37th 38th 39th 40th 41st 42nd 43rd 44th 45th 46th 47th 48th 49th 50th 51st 52nd 53rd 54th 55th 56th 57th 58th 59th 60th 61st 62nd 63rd 64th 65th 66th 67th 68th 69th 70th 71st 72nd 73rd 74th 75th 76th 77th 78th 79th 80th 81st 82nd 83rd 84th 85th 86th 87th 88th 89th 90th 91st 92nd 93rd 94th 95th 96th 97th 98th 99th 100th 101st 102nd 103rd 104th 105th 106th 107th 108th 109th 110th 111th 112th 113th 114th 115th 116th 117th 118th 119th 120th 121st 122nd 123rd 124th 125th 126th 127th 128th 129th 130th 131st 132nd 133rd 134th 135th 136th 137th 138th 139th 140th 141st 142nd 143rd 144th 145th 146th 147th 148th 149th 150th 151st 152nd 153rd 154th 155th 156th 157th 158th 159th 160th 161st 162nd 163rd 164th 165th 166th 167th 168th 169th 170th 171st 172nd 173rd 174th 175th 176th 177th 178th 179th 180th 181st 182nd 183rd 184th 185th 186th 187th 188th 189th 190th 191st 192nd 193rd 194th 195th 196th 197th 198th 199th 200th 201st 202nd 203rd 204th 205th 206th 207th 208th 209th 210th 211th 212th 213th 214th 215th 216th 217th 218th 219th 220th 221st 222nd 223rd 224th 225th 226th 227th 228th 229th 230th 231st 232nd 233rd 234th 235th 236th 237th 238th 239th 240th 241st 242nd 243rd 244th 245th 246th 247th 248th 249th 250th 251st 252nd 253rd 254th 255th 256th 257th 258th 259th 260th 261st 262nd 263rd 264th 265th 266th 267th 268th 269th 270th 271st 272nd 273rd 274th 275th 276th 277th 278th 279th 280th 281st 282nd 283rd 284th 285th 286th 287th 288th 289th 290th 291st 292nd 293rd 294th 295th 296th 297th 298th 299th 300th 301st 302nd 303rd 304th 305th 306th 307th 308th 309th 310th 311th 312th 313th 314th 315th 316th 317th 318th 319th 320th 321st 322nd 323rd 324th 325th 326th 327th 328th 329th 330th 331st 332nd 333rd 334th 335th 336th 337th 338th 339th 340th 341st 342nd 343rd 344th 345th 346th 347th 348th 349th 350th 351st 352nd 353rd 354th 355th 356th 357th 358th 359th 360th 361st 362nd 363rd 364th 365th 366th 367th 368th 369th 370th 371st 372nd 373rd 374th 375th 376th 377th 378th 379th 380th 381st 382nd 383rd 384th 385th 386th 387th 388th 389th 390th 391st 392nd 393rd 394th 395th 396th 397th 398th 399th 400th 401st 402nd 403rd 404th 405th 406th 407th 408th 409th 410th 411th 412th 413th 414th 415th 416th 417th 418th 419th 420th 421st 422nd 423rd 424th 425th 426th 427th 428th 429th 430th 431st 432nd 433rd 434th 435th 436th 437th 438th 439th 440th 441st 442nd 443rd 444th 445th 446th 447th 448th 449th 450th 451st 452nd 453rd 454th 455th 456th 457th 458th 459th 460th 461st 462nd 463rd 464th 465th 466th 467th 468th 469th 470th 471st 472nd 473rd 474th 475th 476th 477th 478th 479th 480th 481st 482nd 483rd 484th 485th 486th 487th 488th 489th 490th 491st 492nd 493rd 494th 495th 496th 497th 498th 499th 500th 501st 502nd 503rd 504th 505th 506th 507th 508th 509th 510th 511th 512th 513th 514th 515th 516th 517th 518th 519th 520th 521st 522nd 523rd 524th 525th 526th 527th 528th 529th 530th 531st 532nd 533rd 534th 535th 536th 537th 538th 539th 540th 541st 542nd 543rd 544th 545th 546th 547th 548th 549th 550th 551st 552nd 553rd 554th 555th 556th 557th 558th 559th 560th 561st 562nd 563rd 564th 565th 566th 567th 568th 569th 570th 571st 572nd 573rd 574th 575th 576th 577th 578th 579th 580th 581st 582nd 583rd 584th 585th 586th 587th 588th 589th 590th 591st 592nd 593rd 594th 595th 596th 597th 598th 599th 600th 601st 602nd 603rd 604th 605th 606th 607th 608th 609th 610th 611th 612th 613th 614th 615th 616th 617th 618th 619th 620th 621st 622nd 623rd 624th 625th 626th 627th 628th 629th 630th 631st 632nd 633rd 634th 635th 636th 637th 638th 639th 640th 641st 642nd 643rd 644th 645th 646th 647th 648th 649th 650th 651st 652nd 653rd 654th 655th 656th 657th 658th 659th 660th 661st 662nd 663rd 664th 665th 666th 667th 668th 669th 670th 671st 672nd 673rd 674th 675th 676th 677th 678th 679th 680th 681st 682nd 683rd 684th 685th 686th 687th 688th 689th 690th 691st 692nd 693rd 694th 695th 696th 697th 698th 699th 700th 701st 702nd 703rd 704th 705th 706th 707th 708th 709th 710th 711th 712th 713th 714th 715th 716th 717th 718th 719th 720th 721st 722nd 723rd 724th 725th 726th 727th 728th 729th 730th 731st 732nd 733rd 734th 735th 736th 737th 738th 739th 740th 741st 742nd 743rd 744th 745th 746th 747th 748th 749th 750th 751st 752nd 753rd 754th 755th 756th 757th 758th 759th 760th 761st 762nd 763rd 764th 765th 766th 767th 768th 769th 770th 771st 772nd 773rd 774th 775th 776th 777th 778th 779th 780th 781st 782nd 783rd 784th 785th 786th 787th 788th 789th 790th 791st 792nd 793rd 794th 795th 796th 797th 798th 799th 800th 801st 802nd 803rd 804th 805th 806th 807th 808th 809th 810th 811th 812th 813th 814th 815th 816th 817th 818th 819th 820th 821st 822nd 823rd 824th 825th 826th 827th 828th 829th 830th 831st 832nd 833rd 834th 835th 836th 837th 838th 839th 840th

2. 18  
 I did and returned to  
 Glasgow very soon. That house of my friends  
 became to my departure  
 and the God house of my friends and  
 prepared to leave Glasgow

Monday, the 8<sup>th</sup> of March 1878. Left Glasgow  
on a 9.30 train at 12.5 about in the day -  
about 12.50 arrived in Birmingham at 4.15 about in the  
evening of the 10<sup>th</sup>

Remained in Liverpool two days &  
saw the Public Works of that fine town  
and was glad for the last time to leave  
the S.E. of Europe. Took coach and arrived  
in London before dark on evening

- 68 -

y 13<sup>th</sup> 1828. Attended Mrs Lane's to the  
ministration of some Charity School boys  
to.

y 14<sup>th</sup> Received my letter of introduction  
from Mr. Houlston - and saw his - Jennings  
vill.

17<sup>th</sup> Wrote to Mr. Houlston - Mr. Houlston,  
2 to Mr. Houlston & Mr. Houlston.

Wrote to Mr. Houlston - and went to  
see to see Jennings vill.

Went to see to see Jennings vill.

Accompanied Mr. Houlston to the Hospital,  
Bage and Houlston. Went to see to see Jennings vill.

Wrote to Mr. Houlston. Received some  
Jennings vill in a village near Jennings vill.  
company with Mr. Houlston.

Left Glasgow for Edinburgh.

Returned to Glasgow early in the morning  
and Mr. Houlston's Workshop - afterwards  
expressed him to the country to see  
Houlston for Jennings vill.

Wrote to Mr. Houlston's vill again.

Wrote to Mr. Houlston's vill again.  
Received Mr. Houlston's vill again.  
Received Mr. Houlston's vill again.  
Received Mr. Houlston's vill again.



- 67 -

Mr. J. Briggs' letter of introduction - and that excellent man showed me his shells for little payment.

February 2<sup>nd</sup> - Went to Paisley, seven miles from Glasgow to see some Wharfedale. Was accompanied by Mr. Laurie, senior. Returned to Glasgow in the evening.

February 3<sup>rd</sup> Wrote to Mr. Nicholson

February 4<sup>th</sup> Wrote to Mr. Burns. Saw Mr. Thomson's shells again. Went to Paisley.

Feb. 5<sup>th</sup> Wrote to Mr. Graham.

Feb. 7<sup>th</sup> Accompanied Mr. Burns to a Glashie & Collier's near Glasgow

Feb. 8<sup>th</sup> Wrote to Mr. William Garnett.

Mr. Laurie showed me the houses for making common. Hand bottles belonging to Mr. Laurie and situated near the Burnside Bay.

Feb. 9<sup>th</sup> Went to Mr. Laurie's again. Saw the crinoids from out

Feb. 12<sup>th</sup> Called upon Mr. Thomson. He took me over his shells again and showed me the large (and) digested rocks. "Fossils & Manufacture" finished.

- 54 -

have a good foundry for iron, and besides, the furnaces being heated by steam  
vertical hydraulic machine driven by  
a engine. They plane the timbers  
not by machinery, and their apparatus  
driving heads is the most complete of mechanism,  
like power looms and some machinery  
in the cotton manufacture.

Wood's Machinery situated near Mr. Roberts'  
a extensive establishment for making  
is Portland, water pipes, large Portland wheels  
etc. etc. He worked in his mill through no  
less 12,000 different wooden patterns  
strong blocks. The building was very long  
14 ft. with a well built roof, unmanicured  
somewhat narrow in every direction. As  
it drained rain water into water which gave  
great use to them in roads and elsewhere  
and out many more.

Mr. Johnson's Mill's Ford. There were on  
immense scale construction, doing several large  
ranges of brick buildings, large ones.

Indeed so in fact a lot of many  
others were here brought to grand perfection  
The houses were in the middle and  
the others were in place except to the  
the most of them, except by them, it  
was that the houses were in the middle  
to the middle and some more.

The Portable Gas Works, situated near Manhattan  
were large buildings where gas from coal and  
oil was generated, purified and instead of being  
sent over the town in pipes, as usual, were  
compressed into iron vessels of various sizes.  
The smallest vessels would contain gas sufficient  
for two days' consumption. The engines for pumping  
and compressing the gas - was a mason piece  
& Newen's patent and a work which reflected  
great honor on Mr. Brown's establishment.  
The light afforded from this substance was  
intensely equal and clear. I found it my  
advantage to use it instead of candles. When  
we had considered their expense, we duly  
and enquired to the light, besides the expense  
which are involved during the decomposition  
the injurious to the health, whereas in case of  
gas - the only product is a little hydrogen  
which does no body injury. This gas itself is too  
small - so is the weight of a candle - both of  
which, if we were better not to allow them  
to escape and waste the mass, would be  
inexpensive.

Mr. Robert's Thorpe's Factory is situated  
in North Street, and is of the kind the  
other establishments are the same.  
The same are common and there can  
afford to send in a good and cheap work.

The small, frequented road was light, generally  
clear, and the way delightful and not  
unpleasant. At 10:30 A.M. we reached the station,  
the station being, I think, the station  
from which to go to the great  
theatre and the great  
theatre. I had the pleasure  
of going to see the description  
of the famous historical  
city, which is a very  
interesting - President, I spent of  
time in passing, of the city with one  
and a half, and that to be able to  
attend the conference of my relations  
there. I could have wished to have  
represented the relations at the hands  
of the President who were all on the  
subject of strangers, especially of me.  
Since then soon came to know that  
we spent in coming to Manchester was  
quite and nearly to give so much  
information as possible on the Cotton  
Manufacture with the way view of  
it introduced into Egypt then in  
the individual amongst them were  
and enough to satisfy our curiosity -  
the case, as I imagine, not to present  
me with the slightest opportunity of  
seeing a very important & valuable point.

During the winter months, I lived with Mr. A. J. S. every thing in my power to secure and to ensure that I was never satisfied with myself. I found my mind for development in events - first I attended my attention to my own school I should have found much time left and did it in my hands. I have not my own satisfaction and to great my own satisfaction, I succeeded in completing the time in the study of the French and Italian languages for which I secured masters to attend me and to assist me in. I attended to the great Mr. Hutton's lectures on Chemistry to my master's lectures on Mechanics, natural Philosophy delivered in the Birmingham Institution, to Mr. Hall's instructions in Zoology and to Dr. Holland's lectures on Botany. I also attended to Adams' and Stephenson's made in the last, last and before.

Mr. Nicholson had a cabinet library of minerals on the Arts & Sciences, which he kindly permitted me to take to my house for my use, and my friend Mr. William Garnett had me some volumes of Piers' Encyclopedia. Thus, by means all I could do in the winter. Manchester is as much as the fineness, generosity & liberality which allows us to spend my time in Manchester in a quiet study.

and more a step higher in their studies began to read and translate. French. Immersion to French & even German.

In the fourth step - Science made considerable progress in Latin prose - the study of that language was attended translation from the Greek more commenced and Plane Geometry taken on hand. French, Geography & its history being combined

in the fifth step. The course of study was the same as the former one entering into the higher branches. Algebra was begun, as also Climatology.

In the sixth & seventh steps the much difficulty of the Greek translation was put into the hands of the students. No study of the Mathematics given continued.

After going through these seven stages which took up almost long years - the student had the satisfaction of having gained a little Latin & Greek. And nothing else was given as yet to his master to him.

The rudiments of Natural Philosophy, Chemistry and Geology were taught as a first separate from the rest and under a convenient master. Then as there were some more only taught in one year and the pupil was in a measure to show another year only heard a repetition of the first course. At no one ever said any thing in their hands as in other languages were continued.

"In addition to their education in our churches  
were adapted to prepare young men to enter  
the church, than the busy world. The, some-  
times, in their early and traditions are igno-  
rant of the world. They teach their pupils  
our the only true religion knowledge, and  
the "good action as a system. They have  
wonder who are already provided with  
knowledge, but every man is able to read as  
are to create their own through the world.

The study of the dead languages, bearing the studies of religion, was the characteristic of their system of education. The sound mind was always to prepare the way for the study and to devotion to the study of religion: it is that a person learning ancient languages was not to be any useful and active member of the community, prepared to enter into the practical studies necessary for them. His subjects were divided into three classes, in the 1st class the sciences were cultivated, then they went over to philosophy, and then history, and finally to the study of religion.

In the morning, 1894 - increased the water  
level, and again the same time later in  
1904 - increased the level. From

- in the head, I have observed a number of "protoplasmic  
heads" - the "heads" are small, dark, and

We staid a day at Boston and then took a  
 boat to New York. I was not to "commence" there, but  
 arrived a day before the coronation of the Emperor  
 George II. In such an occasion the priests  
 visited the neighbouring country people and  
 their and pilgrim's gardens. Henry of Dear was  
 given there to show "St. Gregory's" health and  
 after receiving, came to the case of the "Emperor".  
 St. Gregory took "care" of me. I was very kind  
 in him to take me up to his college the whole  
 way from London.

I must not forget to mention that, whilst at  
 Boston, we visited a Mr. Stoughton who had  
 travelled in Egypt during St. Gregory's residence  
 in that country and had received many attentions  
 from him. In return he begged he would show  
 me the same attention he, was our "host".

Stoughton College is a large building  
 with extensive lands attached to it. It belongs  
 to the Society who employ themselves in  
 the care of the moral and human education  
 of the Catholic youth of Great Britain. It is  
 a respectable - that the most of the greatest  
 families of Spanish descent are sent to it  
 to receive their education. The Catholic nobility  
 of England also send their sons there. In our time  
 there were more the Howards, Howards, Howards  
 Howards, Howards and others.



... it is now thought best to  
 ... ..

In London Mr. ... .. took  
 me away from ... .. where I had been  
 for nearly three years, to remove me to  
 a higher school and one professing the  
 ... .. the ... .. of my family  
 "is good when ... .. in ... ..  
 ... of the highest standing and one  
 well educated to justify the ... .. of  
 my ... .. taking me away from  
 ... ..

In my journey to it, we stopped a few  
 days at Birmingham a large town cele-  
 brated for its extensive iron manufactures  
 and artillery. Towns were introduced to  
 ... .. the ... .. and ... .., and  
 to ... .. Master and Sales of the ... ..  
 Works, ... .. since ... ..  
 employed in ... .. years and ... ..  
 to ... .. the ... .. of Egypt.  
 ... .. took me down to ... ..  
 of great depth. From the town ... ..  
 to ... .. where Mr. ... .. introduced  
 me to Mr. William ... .. and to several  
 other gentlemen. He showed me the interior  
 of a cotton mill, ... .. and ... ..  
 ... ..

... and a great many more, from all  
 ... from the ... and some of the  
 ... and sailed on a fast ...  
 ... to Dover. It was night when we landed  
 ... was new to me: The houses, streets  
 ... and the ... of the ...  
 ... welcomed me. ... one ...  
 ... there were ... in the town the  
 ... and ... through the ...  
 ... to be ... - in vain I looked  
 ... for the ... but hats - nothing  
 ... black hats appeared. ... as ever  
 ... in ... a long time before I could  
 ... the ... in the room - and when  
 ... was laid out I little expected there were  
 ... to eat under glittering silver covers,  
 ... the waiter ... the dishes  
 ... vegetables and fish appeared to come as  
 ... of ... it such an early age I could  
 ... no explanation as to what I saw - but  
 ... thought there was no water in England -  
 ... I saw nothing but tea, coffee, beer,  
 ... stout, cyder, wines, brandy, gin, rum,  
 ... and every sort of made liquors - but  
 ... these "beverages" did not seem to refresh.  
 ... did not stay long at Dover - we ...  
 ... into a coach drawn by four horses which  
 ... first sight took for a "tombola", it never  
 ... but travelled with great rapidity (very  
 ... "wheels") till we arrived in London.

Singapore, we were a good while. I lived  
in a place close to the sea where I  
had in view all the wharves in the harbor  
at night. These boat places exhibited all  
kind of lights from boats and at sea, and we  
arrived to me as a new thing seen and  
before.

Singapore to England in 1910

Left a ship of the wooden line on the month  
in a Glomar Line engaged my passage  
to England in a small English ship, the  
name of which I have forgotten. It was  
a small, strong and large vessel. We were  
frequently detained in the Mediterranean.  
We stopped at Malta to get on water  
and fresh food. Also at Gibraltar.  
In the Bay of Biscay, experienced very  
rough weather. It is not recalled where  
we anchored and the weather was  
that lasted about three weeks in a  
month; and my confinement greatly  
disturbed me. Particularly it was seen  
that it was not distinguished  
the inhabitants walked about the  
field, and the cattle, grazing. I want  
this time I was surprised with a sudden  
impression of the summer of my right leg.  
which was used to my old, a surprise was  
impossible for the impression was in the morning

- 25 -

Ships, trees and menards appeared to pass  
under. Yajala looked toward me and I sat on  
the edge of the cabin looking along the deck  
and shading tears, which when Frances  
perceived it, said I had no courage which  
"cotted me" and made me think it was  
the dark on the deck was blown into my  
eyes and made them water.

I do not distinctly remember what I saw  
during the voyage. He stopped at Cape Baba.  
where I, as I was with some women  
and my servant to buy fresh food, here I  
observed tall columns the most magnificent  
temples of antiquity. The water of the sea here  
was so clear that we could clearly distinguish  
the rocks and shells laying on the bottom.  
we never lost sight of land the whole way  
from Amoy to Amoy to Amoy.

Arrived in Amoy Frances got engaged  
in the Frank quarters close to the sea side.  
This man was a sort of linguist and had  
acquired the confidence of us, to whom he had  
been to take care of us till our safe arrival  
in London. But he was not to be an  
important vagabond - a thief and a drunkard.  
In London he got into debt and Mr. Buggs  
did not care to take him to get him  
off and gave an account of himself that  
he had no more of him since.

I had, as usual on such occasions, in a good  
 advice given me. I was young and thoughtless.  
 I knew not the value of parents, and my heart  
 was full of ambition at sea and of going  
 to a country where all the inhabitants were  
 not men and Englishmen - I left them  
 happily, happily, impatient to move a home  
 for the first time in my life, which was  
 standing at the door for me. Before I left  
 the house, an old Dominican lady, who a  
 little time ago had lost a certain son  
 in the neighbourhood would be set on fire  
 and was in consequence looked upon as a  
 heretic, put her hands upon my head and  
 said I should be "most fortunate" to be  
 given me but her benediction. My good uncle  
 and younger brother wept much  
 because I was going away, but my affectionate  
 mother, with sternal gravity, beckoned me  
 to her and kissed me on the forehead.  
 She pressed my head to her bare bosom  
 and would have cherished me long  
 but the time came when I was to  
 part - and since that day I have  
 never seen her and it is hard to say how  
 much I have had no news from her.  
 I was lifted on horseback. I was led to  
 the port where I embarked on the "Cassio"  
 I talked at my father's house in the "Cassio"  
 at night. I was in the "Cassio"

who dared not dislodge me from a heap of  
oyster shells in a corner - a collector of  
anyone forces upon me a similar crushing  
weight. The two little shells he pushed into  
his bosom with - and thus humbled me so  
that I never put my foot into the ocean  
again for fear of the 'bodicee'. Thus a  
'ragabond' dog appeared an object in my behalf.  
which could be done neither by practical admo-  
nition nor severe and restorative chastisement.

Go to Longrow. (Igeomee Tamer)

My article in the 'Lancet' about 1877 on the  
'Lancet' of 1881 made it his mind  
to send me to England. The first in-  
dication of his resolution was to buy me  
a complete suit of English clothes. I made  
two of them with my English clothes  
and three of them. I made three - was  
packed and sent off to an 'Lancet' agent  
which was just leaving for Shanghai.  
I was a long time - and I travelled about  
the best of me in the house in a pair  
of new shoes looking fierce and burning  
round sharply on my heels to show how  
I could set the 'Lancet'. But when in the  
presence of the whole family I suddenly  
vigorously thrust my hand into my tight  
'bodicee' to adjust my shirt, the 'joke'  
was carried too far - and my new shoes  
were not shipped and I made a mistake  
in the matter. I was in the middle of the  
journey. I laughed heartily at my English  
'joke'.

moments, embracing me to sit in one position  
 before him and to listen to his reading, although  
 I declare I did not understand one word of  
 what I heard - nor what was more remarkable  
 my father himself did not know a word of the  
 English language - and seemed to derive pleasure  
 from hearing his own voice in that peculiar tongue.  
 He always shut up the book by observing  
 the English were shasters very abled led  
 and would send me amongst them to be a  
 ben-sick adam. I then ordering me to light  
 his pipe he used to sit gazing at me whilst  
 I hummed a little wooden stool with  
 feet, most nine fingers in the Arab fashion.  
 I had become a very good boy, often wished  
 to go to England and went morning and night  
 to God for his blessing. I used to watch for  
 hours a picture of the Virgin Mary to see  
 whether it would move - and always took  
 a little Italian pocket dictionary to bed with  
 me. notwithstanding my great laid party  
 I was as gregarious as ever - and took every  
 opportunity to fight with the little boys of our  
 neighbourhood - and extraordinary enough - in  
 such encounters I proved myself a lion that I  
 was an Englishman - was going to Frangistan.  
 I had great strength and brightness for a little  
 boy and generally obtained the mastery in fighting.  
 I was partially cured of my conceit one day  
 when quarrelling on the march with many

"Shade" and "Shade" in my hand. The hair was yellow and long was combed behind flat to my back and parted before and turned over my shoulder. I was allowed to wear the dress with a "bindu" and whenever my father took me out walking with him. On these occasions I always walked in his shade and sometimes under cover of the hem of his "cap" or "bush".

I was now no longer known by the name of "Horse", as I had in the family; but was always called "Horse" together or "Little Englishman". I was then eight or a large court palace with many lights in the hall. I do not remember who the females were, but after we had drunk tea (the preparation for the concert of spiritual was a magnificent meal to me). My father, Aga with great ceremony took me by the hand through a long gallery to a room where there were three or four in great plenty. Then he said "English" (i.e. English) "Shade" and "Shade" books open and read them and you shall be a great man. At this he shut the door upon me and left me by myself. With books I was obliged to open much left to understand. I had been given two books. One was in English - the other was the one he was afterwards found to be one should be one in his house.



The solemn air of the masters induced  
 respect, and the manner of instruction  
 discipline who attended to their  
 studies, meals and recreation in regular  
 hours induced me to become diligent  
 and attentive. I had books given me  
 and in paper to write on. These things  
 induced me to become studious. In fact  
 my teachers were pleased with my progress.  
 Particularly in drawing ships. But  
 when I drew a picture representing  
 souls broiling in purgatory - with angels  
 pulling up some and letting down others, my  
 character as a clever and pious boy was  
 soon established. Another my mother thought  
 that after such a specimen of genius my  
 education was complete. At that time  
 I was to be with these friends had closed.  
 I left that place and returned to my  
 mother who received me very affectionately.  
 My conduct was now greatly altered;  
 I liked to clean the house and to  
 draw water. I no longer ran about - but  
 sat with 'Dede', an old Indian woman  
 who lived with the family; the greater  
 part of the day - through her coffee was  
 held the basin and poured out the water  
 for her to wash her hands and head with.  
 I was fond of reading and aloud although  
 I understood not. I passed. I saw over my  
 books every night and prayed with my mother  
 to our Father in heaven. I was I a favorite  
 of my parents.

My Father returned from Paris (Egypt).

It was on the morning of a sunny day that my  
 mother had been recommended in account  
 on the basis of French relation who had prob-  
 ably been the player in a certain company  
 in the theatre. Flashed from our windows as  
 it passed our street amidst my father's father,  
 who remained, even that the country first  
 it, then a number of other there was a sound of  
 our school boys and running to open it.  
 From the new returned school he had come.  
 He turned into my mother's room and on the  
 table and he went to under the things which  
 comprised the things of the house to his  
 ankles under to my father and reached  
 handkerchiefs, papers, letters, tissues, books,  
 money and other in various. He then changed  
 his blue turban for the Prussian cap  
 and whilst my mother hastened to prepare  
 him coffee, sat on the divan and began  
 to play on the harmonium. He commanded me  
 to turn and have some tobacco and to fetch  
 fresh water for him to drink. He hastened  
 as my brand with delight and took the  
 precaution of carrying a fine black handkerchief  
 and a soft one under my arm put out to  
 touch the clothes of any person in the street.  
 My parents laughed and a new suit of clothes  
 in accompaniment for my father's elegance in my  
 father was very proud of my father's hand.

we came to some plane-trees - some dinner tables  
 off some benches with the weed-smelling *Styphon*  
 to adorn the east walls. Before we arrived at  
 the "Bey," we crossed a great heath - whence  
 we had a view of the minarets of *Stambul*.  
 We dined in the house of a Greek who showed  
 us his knives and pistols, to show he was well  
 armed against robbers and *Bozdogans*.

Two days elapsed before I found out where  
 the vineyards were, where the goats were  
 milked and where the *Baraks* kept their  
 shops. My father to keep me out of mischief,

having been already some months in *Tanagra*  
 quite idle, engaged a Frenchman to give  
 me lessons in French. His tight pantaloons  
 and creaking boots caused me to dislike  
 him. I learnt as much French from him.

as *Fluents* or *Spherical Trigonometry* - and  
 when my father was about to set off for  
*Mary* (Egypt) and the family had to remove  
 to *Bay of London* again - I left him with great  
 joy.

Previous to leaving *Constantinople*, I was  
 placed in a superior school of *Academy* conducted  
 I think by some *Armenian* priests. This school  
 was situated near the ships in the harbour  
 seemed a palace to me. Painted walls, pictures  
 fountains, ornamented & lofty ceilings, long  
 galleries and large windows with magnificent  
 scenes of glories to them were new to me.

that I was assigned to the care of a Papist  
 who had great many scholars from whom  
 I learned much civility, mathematics &  
 in the course of some nine or ten months  
 this man taught me how to repeat the  
 Lord's prayer in Roman by art and to pronounce  
 the Greek alphabet. Such proficiency in  
 the Greek language was deemed highly  
 creditable to my natural talents and was  
 forthwith dispatched to an Italian priest.  
 This Abbe was an old man who had lost  
 the use of his legs & always lay in bed;  
 he had the rosary and breviary continually  
 in his hands. I soon found his conversation  
 and piety repulsive, for my spirit of  
 idleness and seldom attended to his  
 instructions. The distance of his school  
 from my house offered too many objects  
 in the way to attract my curiosity and  
 to detain me; besides, as I now carried  
 out my dinner every day in a basket  
 I was always tempted to open it soon  
 after I turned a corner out of view of my  
 house, devouring the most delicate  
 morsels and throwing away the rest to  
 beggars and dogs - the former thanked me  
 and the latter wagged their tails. I came  
 thus to distinguish many of these beggars,  
 some of whom I favoured more than others,  
 and these men, taking advantage of my  
 simplicity, always lay in wait for me.

## In Constantinople.

I was an ungovernable little boy, seldom attended the Papaz who kept a little school in the neighbourhood of my father's house instead of studying time, fond of lighting and cutting figures out of bits of paper. I seldom stayed in the house - but was continually in a "verana" close by drawing kettles sitting over to heaps of straw and playing at dogs. The limit of my peregrinations was an Ohak's about fifty yards from my door, where I used to admire the fresh, soywood and vandy groceries; opposite this shop was a house frequented by Paniparics and Kallingtons whom I used to admire on account of their glittering costume and bright arms.

My father, who did all in his power to give me a good education, put me to no less than five different schools. My first master was an Armenian of irritable temper who flogged his pupils regularly once a week, he died of frequent tarting and improving the good man succeeded in teaching me how to read and write the Armenian language.

الملاحق (\*)

## BRITISH MUSEUM

DEPARTMENT MANUSCRIPT

CATALOGUE 37448

ORDER PSS/403

AUTHOR

TITLE HÉKÉKYAN PAPERS  
(SELECTED PARTS)

PLACE & DATE OF ORIGIN 1807-1841

INCHES 1 2 3 4 5

1 2 3 4 5 CENTIMETRES

BRITISH MUSEUM PHOTOGRAPHIC SERVICE, LONDON

---

(\*) من أوراق حككيان بالمتحف البريطاني

## فهرس

### الصفحة

٥	تقديم
	الموضوع الاول :
٧	جوانب من علاقات مصر الخارجية فى عهد عباس الاول
	الموضوع الثانى :
٣١	انهيار نظام الاحتكار فى مصر بعد عام ١٨٤١
	الموضوع الثالث :
٧١	أوراق حككيان
	الموضوع الرابع :
٨٩	مذكرات نوبار باشا
١٤٥	الملاحق





## صدر فى هذه السلسلة

- ١ - الأصول التاريخية لمسألة طابا - دراسة وثائقية  
د ٠ يونان لبيب رزق
- ٢ - مجمع اللغة العربية - دراسة تاريخية  
د ٠ عبد المعظم الدسوقي الجميلى
- ٣ - التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين  
- دراسة فى فكر الشيخ محمد عبده ٠  
د ٠ زكريا سليمان بيومى
- ٤ - الجذور التاريخية لتحرير المرأة المصرية فى العصر الحديث  
د ٠ محمد كمال يحيى
- ٥ - رؤية فى تحديث الفكر المصرى - « الشيخ حسن المرصفى  
وكتابه رسالة الكلم الثمان مع النص الكامل للكتاب »  
د ٠ أحمد زكريا الشلق
- ٦ - صياغة التعليم المصرى الحديث - « دور القوى السياسية  
والاجتماعية والفكرية ١٩٢٣ - ١٩٥٣ »  
د ٠ سليمان نسيم
- ٧ - دور مصر فى أفريقيا فى العصر الحديث  
د ٠ شوقى عطا الله الجمل

- ٨ - التطورات الاجتماعية في الريف المصرى قبل ثورة ١٩١٩  
د . فاطمة علم الدين عبد الواحد .
- ٩ - المرأة المصرية والتغيرات الاجتماعية ١٩١٩ - ١٩٤٥  
د . لطيفة محمد سالم .
- ١٠ - الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى بين مصر والسودان  
- « دراسة فى العلاقات الاقتصادية المصرية السودانية  
١٨٢١ - ١٨٤٨ »  
د . نسيم مقار
- ١١ - حول الفكرة العربية فى مصر - « دراسة فى تاريخ الفكر  
السياسى المصرى المعاصر »  
د . فؤاد المرسى خاطر .
- ١٢ - صحافة الحزب الوطنى ١٩٠٧ - ١٩١٢ - « دراسة  
تاريخية »  
د . يواقيم رزق مرقص .
- ١٣ - الجامعة الأهلية بين النشأة والتطور .  
د . سامية حسن ابراهيم .
- ١٤ - العلاقات المصرية السودانية ١٩١٩ - ١٩٢٤ .  
د . أحمد دياب .
- ١٥ - حركة الترجمة فى مصر فى القرن العشرين  
أحمد عصام الدين
- ١٦ - مصر وحركات التمرد الوطنى فى شمال إفريقيا .  
د . عبد الله عبد الرازق ابراهيم .

- ١٧ - رؤية فى تحديث الفكر المصرى - « دراسة فى فكر أحمد فتحى زغلول »
  - د . أحمد زكريا السناق .
- ١٨ - صناعة تاريخ مصر الحديث - « دراسة فى فكر عبد الرحمن الراافى »
  - د . حمادة محمود اسماعيل .
- ١٩ - الصحافة والحركة الوطنية المصرية ١٩٤٥ - ١٩٥٢ - من ملفات الخارجية البريطانية
  - د . لطيفة محمد سالم .
- ٢٠ - الدبلوماسية المصرية وقضية فلسطين ١٩٤٧ ، ١٩٤٨
  - د . عادل حسين غنيم .
- ٢١ - الجمعية الوطنية المصرية سنة ١٨٨٣ - « جمعية الانتقام »
  - د . زين العابدين شمس الدين نجم .
- ٢٢ - قضية الفلاح فى البرلمان المصرى ١٩٢٤ - ١٩٣٦
  - د . زكريا سليمان بيومى .
- ٢٣ - فصول فى تاريخ تحديث المدن فى مصر ١٨٢٠ - ١٩١٤
  - د . حلمى أحمد شلبى .
- ٢٤ - الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى افريقيا
  - د . شوقى الجمل .
- ٢٥ - تطور النقل والمواصلات الداخلية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ - ١٩١٤
  - د . فاطمة علم الدين .

٢٦ - جمعية مصر الفتاة ١٨٧٩ دراسة وثيقية

د . على شلش .

٢٧ - السودان فى البرلمان المصرى - ١٩٢٤ - ١٩٣٦

د . يواقيم رزق مرقص .

وبين يديك :

عصر حكيان

١ . د / احمد عبد الرحيم مصطفى .

والعدد القادم :

المجالس النيابية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى

د . سعيده محمد حسنى .



رقم الادعاء ١٩٩٠/٢٢٩٩

---

الترقيم الدولي ٧ - ٢٣٩٢ - ٠١ - ٩٧٧

---

الهيئة المصرية العامة للكتاب



يستهدف هذا الكتاب القاء المزيد من الأضواء على تاريخ مصر الحديث فيما بين عامي ١٨٤١ و ١٨٦٣ ، وهي الفترة التي تشمل أواخر عصر محمد علي وعهد كل من عباس الأول وسعيد .

وقد شهدت هذه الفترة التي لم تحظ بالدراسة الكافية انتقال مصر من حيز الفتوة والاستقلال الواقعي إلى التبعية لأوروبا وما استتبعته من تحولات وهزات عاصفة .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢١٠ قرشا